الخلاص في الديانات الوضعية الهندية

إعداد

أ . د / إبراهيم شعيب زيدان حماد

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م

الخلاص في الديانات الوضعية الهندية

إبراهيم شعيب زيدان حماد
قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، جامعة الأزهر ، مصر.
البريد الإلكتروني:Ibrahimshoaib١٣٣@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان قضية الخلاص في الديانات الوضعية الهندية ، وقد استخدمت عدة مناهج المنهج الوصفي ، والمنهج التحليلي ، والمنهج النقدي. وقد توصلت إلى عدة نتائج منها: أن الخلاص في الهندوسية فهو على نوعين نوعين الأول خلاص دنيوي ، وهذا يتم في الدنيا بالتحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل ، ويحصل أيضا برياضة اليوجا بمسالكها الأربعة حتى يصل إلى الانطلاق ويتحد مع براهما، والثاني الخلاص الأخروي وهذا يتم عن طريق التناسخ عبر الكارما ومنها: أن الخلاص عند البوذيين على نوعين أيضا: الأول :خلاص العوام ويتم عبر الحقائق الأربعة بشعبها الثمانية حتى يصل البوذي إلى النيرفانا التي هي حالة عدمية ، ووهم من الأوهام ،الثاني: خلاص الخواص ويكون عبر قانون النشأة المستندة التي يتم فيها تناسخ الأعضاء عبر قانون الكارما في أجساد جديدة، والوسيلة في ذلك الرهبنة القاسية حتى يصل إلى النيرفانا وبهذا يكون بوذا قد استبدل بتناسخ الأرواح تناسخ الأعضاء. ومنها: أن الجينيين قد أنكروا الألوهية، وقالوا بأزلية العالم ومع هذا فلهم طريقان في الخلاص أيضا الأول: خلاص العوام ويكون عبر الإيمان باليواقيت الثلاثة والالتزام بالمبادئ السبعة لطهارة الروح حتى يصلوا إلى النجاة إن وصلوا إليها، الثاني: خلاص الخواص ويكون عبر تعظيم كل ما هو حي، وقهر العواطف النفسية، والحاجات الفسيولوجية حتى يصل الراهب الجيني إلى رتبة الخمود، والذهول، ثم الالتزام بالعرى حتى يصل الراهب إلى الانتحار طوعا ليصل إلى الخلاص ويحقق النجاة. ومهما يكن من شيء فإن ديانات الهند الوضعية

قد حاولت أن تخلص الروح من شقائها الدنيوي ، وأسرها بالتناسخ في الآخرة فلم تفلح ، لأنهم لا يعرفون حقيقة الروح ، والحق المبين ما دل عليه القرآن والسنة في هذه القضية قضية الروح.

الكلمات المفتاحية: الخلاص – الأديان الوضعية – الهندوسية– البوذية – الجينية – الكارما– اليوجا – التناسخ – النيرفانا

Salvation in Indian man-made religions

Ibrahim Shuaib Zidan
Department of Religions and Sects ،Faculty of Islamic Call in Cairo - Al-Azhar University - Egypt
Email: Ibrahimshoaib١٣٣@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to clarify the issue of salvation in Indian positivist religions, and several approaches have been used descriptive approach, analytical method, and critical approach. It has reached several conclusions

Salvation in Hinduism is of two types, the first is worldly salvation, and this is done in this world by having virtues, and abandoning vices, and it also happens with yoga with its four paths until it reaches the start and unites with Brahma, and the second is eschatological salvation, and this is done through reincarnation through karma.

Among them: that salvation for Buddhists is of two types as well: the first: the salvation of the commoners and is done through the four truths with its eight people until the Buddhist reaches Nirvana, which is a nihilistic state, and an illusion of illusions, the second : the salvation of the properties and is through the law of origin based on which the reincarnation of organs through the law of karma in new bodies, and the means in that harsh monasticism until it reaches Nirvana, and thus the Buddha has replaced the reincarnation of the organs with reincarnation.

Including: that the genes have denied divinity, and said the eternity of the world, however, they have two ways of salvation as well, the first: the salvation of the commoners,

and it is through faith in the three Yawaqit and commitment to the seven principles of purity of the soul until they reach salvation if they reach it, the second: the salvation of the properties and be through the glorification of everything that is alive, and the oppression of psychological emotions, and physiological needs until the genetic monk reaches the rank of inactivity, and astonishment, and then commitment to nakedness until the monk reaches suicide voluntarily to reach Salvation and salvation. Whatever the case, the positive religions of India have tried to rid the soul of its worldly misery, and captured it by reincarnation in the hereafter, but it did not succeed, because they do not know the truth of the soul, and the truth shown by the Qur'an and Sunnah in this case is the issue of the soul.

Keywords: salvation – man-made religions – Hinduism – Buddhism – Jainism – Karma – Yoga – Reincarnation – Nirvana.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، صور الإنسان أبهى تصوير، وخلقه في أحسن تقويم؛ فجعل له عينين، ولسانا وشفتين، وهداه النجدين، مبشرًا من أطاعه بالحسنى، ومن عصاه

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام، وأكرمنا باتباع سيد الأنام، سيدنا محمد خير من صلى وقام، وارض اللهم عن آل بيته الكرام، وأصحابه العظام، ومن تبعهم إلى يوم الحشر والتمام.

أما بعد

فإن الإيمان بالله يعني أن نؤمن بوجوده، وبكماله، وبكلامه أي بالكتب التي أنزلها، وبرسله الذين أرسلهم، وبمخلوقاته العلوية والسفلية التي نراها والتي لا نراها، وبتدبيره لهذا العالم، ثم الإيمان بلقاء هذا الإله الذي عبده العابدون في الدنيا وتقربوا إليه بصنوف الطاعات؛ ليجزي كل نفس بما كسبت إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وهذا الأمر في الإسلام واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وبيَنٌ بيانًا لا لبس فيه ولا ازورار، ولكن الذي هالني أنني وجدت هذا المعني مضطربًا لدي اليهود والنصارى هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنني وجدت الديانات الوضعية الهندية لها تصورات بشأن الخلاص تغاير تمام المغايرة الحال في اليهودية والنصرانية، فأردت بتوفيق الله أن أسبر غور هذا الموضوع وهو (الخلاص في الديانات الوضعية الهندية) حيث إن كل أمة قد تعرضت لسؤال المصير، وإلى أين سيؤول أمرها بعد مغادرة هذا العالم؛ فما إجابة الديانات الوضعية الهندية عن هذا السؤال؟ وعلى أى رجاء يعيشون، وبأي شيء يقنعون أتباعهم إذا تتابعت عليهم المحن، وتوالت عليهم الخطوب ؟ أم أنهم يعيشون كيفما اتفق بلا هدف ولا غاية؟ وهذا من شأنه أن يبطل رسالة الإنسان في هذه الحياة، ويحيلُ الحياة ضروبا من العبث لا تتناهي حيث لا ثواب ولا عقاب، ولا مؤاخذة ولا حساب، فكلٌ يفعل ما يحلو له مادامت الحياة تبدأ بالولادة، وتنتهى بالموت ولا شيء وراء ذلك وصدق الله العظيم

إذ يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٧].

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث.

أما المقدمة، فسوف أتحدث فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

وأما التمهيد: ففيه نبذة عن مفهوم الخلاص، والأديان الوضعية، ونبذة تاريخية جغرافية عن بلاد الهند.

المبحث الأول: الخلاص في الديانة الهندوسية.

المبحث الثاني: الخلاص في الديانة البوذية.

المبحث الثالث: الخلاص في الديانة الجينية.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

أولًا: الخلاص في اللغة

جاء في الصحاح للجوهري: "خلَص الشيء بالفتح يخلص خلوصًا، أي: صار خالصًا، وخلص إليه الشيء: وصل، وخلصته من كذا تخليصًا أي: نجيته فتخلص»[(١)]"

وجاء في لسان العرب: "خلَص الشيء، بالفتح، يخلص خلوصًا وخلاصًا: إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم، وأخلصه وخلصه وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشيء: اختاره"[(٢)] ، يقال: "خلص فلان إلى فلان أي: وصل إليه، وخلص إذا سلم ونجا"[(٣)].

وهكذا يتضح أن الخلاص في اللغة يعني النجاة والسلامة والاختيار وهذا ما نريد أن نكشف النقاب عنه في الديانات الوضعية ما تصوراتهم لطرق السلامة ومسالك النجاة؟

ثانيًا: الخلاص اصطلاحًا

الخلاص في الدين يعنى: "النجاة في الأساس من الأوضاع السلبية كالمعاناة، والشر، والموت، أو إعادة إصلاح أو تطوير العالم الطبيعي، أو تطورية إلى حالة أفضل وأسمى، تميل الأديان الشرقية إلى التشديد على المساعدة الذاتية عبر الانضباط والعبادة الفردية، أحيانًا على مدار الحياة، مع أن بوذية الماهايانا وبوذات معينين، قد يقومون بدور وكلاء إلهيين متوسطين. من المؤكد في المسيحية أن المسيح هو مصدر الخلاص والإيمان عبر سلطته المنجية، ويؤكد الإسلام أن الخضوع إلى الله والأعمال الصالحة هو سبيل الخلاص وتفترض اليهودية خلاصًا جماعيًا لشعب إسرائيل"[(٤)].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (١٠٣٧/٣) ، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) لسان العرب: لابن منظور (٢٦/٧)، ط٣، دار صادر – بيروت ، ١٤١٤ هـ

(٣) المرجع السابق (٢٦/٧-٢٧).

(٤) معجم الأديان العالمية د/ محمد عثمان الخشت (٣٧٥/١-٣٧٦)، بدون ط، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة ، ٢٠١٦م.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: "الخلاص في العهد القديم النجاة من الشر أو الخطر ففي سفر الخروج "فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمُ الْيَوْمَ. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمُ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ، لاَ تَعُودُونَ تَرَوْنَهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ. الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ»[١]. وجاء في سفر المزامير "فَخَلَّصَهُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ، لِيُعَرِّفَ بِجَبَرُوتِهِ"[٢].

وأما في العهد الجديد فقد خلع عليها معنى آخر هو انقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح وهذا هو المراد عينه بعبارات يوم الخلاص، يقول بولس: " فَإِذْ نَحْنُ عَامِلُونَ مَعَهُ نَطْلُبُ أَنْ لاَ تَقْبَلُوا نِعْمَةَ اللهِ بَاطِلًا. لأَنَّهُ يَقُولُ: «فِي وَقْتٍ مَقْبُول سَمِعْتُكَ، وَفِي يَوْمِ خَلاَصٍ أَعَنْتُكَ». هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاَصٍ"[٣].

وينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد غفران الخطيئة، والخلاص من ربقتها ونتائجها وتطهير النفس، وأفراح العالم الأزلي"[٤]. جاء في متى "فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ»[٥]، ومهما يكن من شيء فإن الخلاص في معناه الاصطلاحي هو النجاة من الشر، أو النجاة بالنفس من أدرانها، أو النجاة في اليوم الآخر وهو لا يختلف كثيرا عن معنى الخلاص في الديانات الوضعية يقول الأستاذ الإمام محمد عبده: "اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين، ملبين وفلاسفة إلا قليلًا لا يقام لهم وزن على أن لنفس الإنسان بقاءً تحيا به بعد مفارقة البدن وأنها لا تموت موت فناء وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء، وإن اختلفت منازعهم في تصوير ذلك البقاء،

---

(١) سفر الخروج (١٤: ١٣-١٤).

(٢) سفر المزامير (١٠٦: ٨).

(٣) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٦: ١-٢).

(٤) قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين حرف الخاء (٣٤٤-٣٤٥).

(٥) متى (١: ٢١).

وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم في طرق الاستدلال عليه"[١]، ويزيد الأستاذ الإمام الأمر وضوحًا فيقول: "هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الأنفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن أن يعد ضلة عقلية أو نزعة وهمية وإنما هو الإلهامات التي اختص بها هذا النوع"[٢] إذا الإيمان بالآخرة من الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ويقول الدكتور محمد عبدالله دراز– رحمه الله–: "إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك جماعة إنسانية بل أمة كبيرة، ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن تتخذ لها في المسائل رأيًا معينًا، حقًا أو باطلًا، يقينًا أو ظنًا تصور به هذه القوة التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها، والمآل الذي تصير إليه الكائنات بعد تحولها"[٣].

ويقول الأستاذ العقاد: "يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص في زمن مقبل، وظهر في عقائد القبائل الحمر في القارة الأمريكية أن القبائل التي تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة في الأمريكتين، وليس في هذا عجب؛ لأن الرجاء في الخير أصل من أصول الديانة، والأمل في الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية يبثها الخالق في ضمير خلقة، ويفتح لهم بها سبيل الاجتهاد في طلب الكمال والخلاص من العيوب"[٤].

إن الخلاص واضح غاية الوضوح في اليهودية والنصرانية والديانات الوضعية؛ حيث إن معظم ديانات الشرق الأقصى ومعها اليهودية والمسيحية حددت هدفها في

---

(١) رسالة التوحيد الإمام محمد عبده بن حسن خير الله (ص٤٧)، بدون ط، دار الكتاب العربي، بدون ت.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د/ محمد عبدالله دراز (ص٧٠)، ط٥، دار القلم ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

(٤) عبقرية المسيح: عباس محمود العقاد (ص١٠)، بدون ط، ١٩٥٣م.

تحقيق الخلاص الإنساني مع الاختلاف في موضوع الخلاص وطرق تحقيقه فقد سُميت الأديان جميعها "بديانات الخلاص" ولا ينطبق هذا المسمى على الإسلام؛ لأنه لم يحدد مشكلة معينة للإنسان ليتم الخلاص منها بأسلوب ديني معين؛ فهدف الإسلام تحقيق طاعة الإنسان لله سبحانه وتعالى، وإعلان خضوع واستسلام الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية، والإسلام ليست له قضية معينة يسعى إلى تخليص الإنسان منها كما فعلت كل أديان العالم، ولذلك لا يمكن إدراجه تحت تصنيف ديانات الخلاص"(١).

إذا الخلاص موجود في كل أمة، وفكرت فيه الجماعات الكبيرة على امتداد الإنسانية عبر تاريخها الطويل.

ثالثًا: مفهوم الديانات الوضعية

الدين: "حقيقته في الأصل الجزاء، ثم صار حقيقة عرفية يطلق على: مجموع عقائد، وأعمال يُلقَّنُها رسولٌ من عند الله ويَعدُ العاملين بها بالنعيم والمعرضين عنها بالعقاب، ثم أُطلق على ما يشْبِه ذلك مما يضعه بعض زعماء الناس من تلقاء عقله فتَلتزمه طائفة من الناس، وسمّي الدين دينًا؛ لأنّه يترقب منه مُتَّبِعُهُ الجزاءَ عاجلًا أو آجلًا، فما من أهل دين إلاّ وهم يترقّبون جزاء من رب ذلك الدين، فالمشركون يطمعون في إعانة الآلهة ووساطتهم ورضاهم عنهم، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله"(٢).

وبالتالي الدين الوضعي: "هو الدين الذي يكون من وضع البشر أنفسهم، وهو عبارة عن مجموعة من المبادئ والقوانين العامة، وضعها بعض الناس المستنيرين لأممهم ليسيروا عليها، ويعملوا بما فيها، والتي لم يستندوا في وضعها إلى وحي سماوي، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل، وإنما هي جمله من التعاليم والقواعد العامة اصطلحوا عليها، وساروا على منوالها وخضعوا فيها لمعبود معين أو معبودات متعددة"(٣).

---

(١) تاريخ الأديان: د/ محمد خليفة حسن (ص٤٧-٤٨)، بدون ط، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢م.

(٢) التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور(٣/١٨٨-١٨٩)، بدون ط، دار سحنون – تونس، ١٩٩٧ م.

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام: د/ عوض الله حجازي (ص١٦)، ط٣، دار الطباعة المحمدية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ولذا فالدين الوضعي دين مخترع وضعه أصحاب الخيال الخصب لغرض سياسي أو مادي وليس له أدنى صلة بالوحي وسار بعض الناس عليه دون روية وتفكير، ودون تقدير لخطورة العواقب المترتبة على ذلك، ومن ثم فإن أتباع الدين الوضعي لا يجدون حرجا في تعدد الآلهة أو أن يكون الإله بشرًا أو حجرًا أو حيوانًا كالبقرة وغيرها هذا من ناحية ومن ناحية أخري "فإن الدين الوضعي يلازمه النقص وعدم الكمال ذلك أنه من وضع الإنسان، والإنسان لا يمكنه أن يحيط بجميع حاجات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائما"(١) بخلاف الدين الإلهي الذي هو من وضع العليم الحكيم الذي أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا.

رابعًا: المنهج العلمي في تحديد الأديان الوضعية

إن الرأي القائل بأن القرآن الكريم قد أسس لعلم مقارنة الأديان وكان له فضل السبق في هذا المضمار رأي على درجة عالية من الدقة والصواب يشهد لذلك آيات القرآن الكريم التي ناقشت وحاورت العقائد المخالفة للتوحيد وبينت زيفها وبطلانها "والأكثر من ذلك فإن القرآن أعطانا أول تصنيف وتقسيم لأديان العالم استنادًا إلى الوحي، واستخدم مصطلح أهل الكتاب ليفرق بين ثلاثة أصناف من الأديان، أديان لها كتب مقدسة، وأديان لها شبهة كتاب، وأديان لا تملك كتبًا مقدسة"(٢).

وقد استقي الإمام الشهرستاني هذا التصنيف للأديان من القرآن الكريم فبين أن الأديان تنقسم إلى: من له كتاب منزل محقق، مثل: اليهود، والنصارى، وممن له شبهة كتاب مثل: المجوس والمانوية، ومن له حدود وأحكام دون كتاب مثل: الصابئة الأولى، ومن ليس له كتاب ولا حدود مثل الفلاسفة الأولى، والدهرية، وعبدة الكواكب

(١) المرجع السابق (ص١٩) وانظر أيضا قصة الأديان: د/ رفقي زاهر (ص ١٨)، بدون ط، مركز الحكمة للطباعة والنشر، بدون ت.

(٢) تاريخ الأديان: د/ محمد خليفة حسن (ص٣٤) مرجع سابق.

والأوثان، والبراهمة[١].

وقد سار العلماء المسلمون على هذا الهدي القرآني فقسموا الأديان إلى ما يلي:

١ – أديان كتابية : الإسلام ، والنصرانية ، واليهودية

٢ – أديان شبه كتابية: الصابئية والمجوسية.

٣ – أديان غير كتابية: الأديان الوضعية[٢].

وخلاصة القول في تمييز الدين الإلهي من الدين الوضعي " أن الدين الذي يستقي عقائده وتشريعاته من الحواس السليمة، والخبر الصادق المؤيد بالمعجزة، والعقل فهو الدين الصحيح، أما الدين الذي تنكب هذا الطريق فبني عقائده وتشريعاته على الظن والتخمين، واتباع الهوى، وتقليد الآباء، وتقديس الأحبار والرهبان، والسحرة والمشعوذين والكهنة وغيرهم. فليس من الدين في شيء بل هو الجاهلية لأنه أسس بنيانه على الجهل" [٣].

ومن التصنيفات المعتمدة للأديان التصنيف الجغرافي حيث يتبع هذ التصنيف علم الجغرافيا فقد نشأ ما يسمى بجغرافية الأديان التي تحدد مناطق انتشار الأديان في العالم فتوجد الديانات الشرقية والديانات الغربية وتوجد الديانات الآسيوية والديانات الإفريقية، بل إنه يوجد تقسيم يعتمد الأقاليم الجغرافية المعروفة فتوجد ديانات الشرق الأقصى، وديانات الشرق الأوسط وديانات الشرق الأدنى، ويوجد تقسيم علمي ينسب الديانة إلى مكان انتشارها، ومحل نفوذها كأديان الهند، وأديان الصين، وأديان الفرس... الخ[٤] وسأسير في معالجة موضوع الخلاص في الديانات الوضعية الهندية على هذين

---

(١) الملل والنحل الإمام الشهرستاني (٥٥/١)، تحقيق محمد فريد، بدون ط، المكتبة التوفيقية– القاهرة، بدون ت، وانظر (٢١٤/١) من نفس المرجع.

(٢) مدخل لدراسة الأديان د/ عبدالله على سمك (ص ٧٢) دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع ٢٠١٣م

(٣) أصول العقائد محاولة لإيجاد معيار يتميز به الدين الإلهي عن الوضعي د/ نوح الغزالي (ص ١١) ط١٩٩٧

(٤) ينظر تاريخ الأديان (ص ٤٠) وما بعدها مرجع سابق.

التقسمين فالأديان الوضعية محل الدراسة هي الأديان غير الكتابية، الموجودة في الهند.

خامسًا: : نبذة تاريخية وجغرافية عن بلاد الهند

وأقصد بالهند: الهند الأصلية أي قبل أن تنقسم إلى قطرين عظيمين الهند وباكستان، كانت قارة أو شبه قارة عظيمة المساحة تمتد في جنوب آسيا من هضبة إيران وأفغانستان في الغرب إلى شبه جزيرة الهند الصينية في الشرق، ومن جبال هيملايا في الشمال إلى المحيط الهندي في الجنوب(١).

وتعد أكبر دولة من حيث عدد السكان، وسابع أكبر دولة من حيث المساحة، ٣.٢٩ مليون كم، والديمقراطية الأكثر اكتظاظًا بالسكان في العالم حيث يفوق تعدادها ١.٤١٠ مليار إنسان(٢).

وقد بدأت فتوح السند في أيام عمر بن الخطاب، فقد ولى عمر– رضى الله عنه– على البحرين عثمان بن أبى العاص الثقفي سنة (١٥هـ)، فوجه أخاه الحكم فأرسل الحكم جيشًا إلى تانه من ساحل الهند، ثم توالت المحاولات في عهد عثمان وعلى– رضي الله عنهما– وفي عهد معاوية– رضى الله عنه– وصل المهلب إلى لاهور، وقد قام القائد محمد بن القاسم بحملات كثيرة إلى أن دخل إقليم السند إلى بلاد الكيرج.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يظل كل ملك منهم مكانه، وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم فأجابوه، ودخلت بلاد السند كلها في طاعة المسلمين، وأسلم أهلها وملوكها وتسموا بأسماء المسلمين، وبهذا أصبحت بلاد السند بلاد إسلام(٣).

---

(١) الهند تاريخها تقاليدها جغرافيتها محمد مرسي أبو الليل (ص٩)، مؤسسة سجل العرب ١٩٦٥م.

(٢) ينظر الموسوعة الحرة ويكبيديا وقد دخلت على الموقع يوم الخميس ٢٠٢٣/١٢/٧م
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF

(٣) ينظر: أطلس تاريخ الإسلام د/حسين مؤنس (ص١٣١-١٣٢) بتصر كبير، ط٢، الزهراء للإعلام العربي١٤٠٧هـ/ـــ٢٠٠٧م.

وقد قامت ممالك مسلمة تعاقبت على حكم الهند إلى أن وصل سلطان المسلمين على الهند كلها شمالًا وجنوبًا في عهد السلطان جلال الدين محمد أكبر الذي حكم في الفترة من الثاني من ربيع الثاني (٩٦٣هـ) إلى العشرين من جمادى الآخرة (١٠١٤هـ) وخلفه ولده نور الدين محمد، وقد حافظ على ملك أبيه وأضاف إليه بعض الحصون، واستمر الحال إلى أن دخل الإنجليز إلى الهند، وظلوا يحيكون المؤامرات إلى أن قضوا على سلطان المسلمين في الهند، وقاموا بنفي السلطان بهادر شاه مع أسرته إلى رانجوان، وأعلنوا بعد ذلك شبه القارة الهندية مستعمرة بريطانية يحكمها نائب للملك وبنوا مدينة جديدة وهى نيودلهي عاصمة الهند اليوم، ومن يومها فقد ضيقوا على المسلمين، ومكنوا للهندوس والسيخ لدرجة أن أعلن اللورد ألن بورو أن العنصر الإسلامي في الهند هو عدو بريطانيا الأكبر، واستمر الحال حتى ظهر المفكر العظيم محمد إقبال الذي نادى بفكرة الدولة الإسلامية، ونفذها الزعيم المسلم محمد على جناح حيث قامت دولة باكستان ١٩٤٧م ثم انقسمت إلى دولتين مستقلتين باكستان الغربية، وباكستان الشرقية بنجلاديش أي وطن البنغال[١].

والهندوس بفعل الاستعمار البريطاني تأصلت فيهم كراهية المسلمين، حيث يتعرض المسلمون الهنود إلى حرب إبادة ممنهجة من قتل، وتدمير للمساكن، وهدم للمساجد، وتطاول على المقدسات ولا حامى للمسلمين من هذا الظلم البين، وهذا الاضطهاد المقيت بعد الله- تعالى- إلا صمودهم وتمسكهم بدينهم.

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٢٥٩) وما بعدها.

المبحث الأول

الخلاص في الديانة الهندوسية

إن الديانة الهندوسية التي يعتنقها جلَ الهنود ديانة لا يُعرف لها مؤسس ترجع إليه ولذا فهي دين متطور ومجموعة من التقاليد والأوضاع تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم جيلًا بعد جيل بعدما وفدوا على الهند وتغلبوا على سكانها الأصليين(١).

وقد ذكر أبو الريحان البيروني [ت ٤٤٠هـ] أن الهندوس مختلفون في أمر الاعتقاد في الله– سبحانه–، فخاصتهم موحدون وعامتهم معددون يقول: "واعتقاد الهند في الله– سبحانه– أنه الواحد الأزلي من غير ابتداء، ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحي المدبر المبقي الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء"(٢).

وأما العامة فيعتقدون في الله: "أنه يطول اثنى عشر إصبعًا في عشرة أصابع– تعالى– عن التحديد والتعديد، وأنه بألف عين عبارة عن كمال العلم، وأمثال هذه الخرافات الشنيعة عندهم موجودة وخاصة في الطبقات التي لم يسوغ لها تعاطي العلم"(٣).

وهذا التقسيم الذي ذهب إليه البيروني لم يحبذه بعض الباحثين حيث ارتأوا أن الهندوسية ديانة إلهية أصابها التحريف والتبديل فغلبت الوثنية التوحيد(٤) ولكن الذي ينظر إلى عقيدة القوم بنوع من التعمق سوف يصل إلى أن " الهندوسية تؤمن بأن الحقيقة المطلقة هي واحدة مع صورها العديدة أو الثلاثية وكل تفرعاتها وتجسداتها التي قد تبدو

---

(١) أديان الهند الكبرى: د/ أحمد شلبي (ص٣٧)، ط١١،مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٠م.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: أبو الريحان البيروني (ص ٢٠) تقديم د/محمود على مكي الهيئة العامة لقصور الثقافة إصدار ٢٠٠٣م

(٣) المرجع السابق (ص٢٣–٢٤) بتصرف كبير.

(٤) انظر الأديان القديمة: د/ حسن الهواري (ص٦٢) وما بعدها، ط٢/١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

للبعض تخبطا لاهوتيًا وتناقضًا في مفهوم الوحدة الإلهية"[١]، وهذه الصور الثلاثية متمثلة في الإله براهمن الذي هو الحقيقة المطلقة الذي يوجد داخل كل كائن حي وهو المبدأ الأول للكون والنفس الإنسانية، والإله فشنو الحافظ للخلق، والإله شيفا المدمر الذي سوف يقضي على الكون والحياة يوما ما في المستقبل[٢].

هذه هى الآلهة الرئيسة، وإن كان هناك أيضا بضعة آلاف من الآلهة الصغيرة منها القردة، والأفاعي، والتماسيح، والبغباوات، والفيران، والأبقار "فالهندوسي لا يري فارقًا بين الحيوان والإنسان؛ لأن لكلٍ منهما روحًا والأرواح تمضي متنقلة دائمًا بين الحيوان والإنسان في صنوف إلهية؛ ولهذا نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها... من كل هذه الألوان تتضح حقيقة الإيمان عند الهندوس آلهة من كل نوع بعضها يثير الرعب وبعضها يقتل ويدمر، ولكنها كلها تؤكد للناس أنها مصادرة قوة ضخمة ترمز جيدًا إلى القوة الكبرى التي تسيطر على العالم الكبير"[٣].

ويقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: "قد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس، فقد كان عدد الآلهة في "ويد" ثلاثة وثلاثين، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون، وقد أصبح كل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلهًا يُعبَد ... وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلاهات الحصر وأربت على العدِّ، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله- زعموا- في عهود وحوادث معروفة، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس "مهاديو" الإله ، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة والأجرام الفلكية وغير ذلك، وأصبحت الديانة نسيجًا من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يستسغها

(١) فيدا نصوص هندوسية مقدسة: د/ منذر الحايك (ص٢٧) صفحات للدراسات والنشر ٢٠١٨م.

(٢) انظر المرجع السابق (ص٢٧) وما بعدها.

(٣) قصة الديانات سليمان مظهر (ص ٨٥-٨٦) المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠م.

العقل السليم في زمن من الأزمان"[١].

وهذه مشكلة العقيدة الهندوسية التي يراها الزعيم الهندي غاندي منقبة للهندوس فيقول: "من حسن حظ الديانة الهندوسية أنها تخلت عن كل عقيدة ولكنها محيطة بجميع العقائد الرئيسية والجواهر الأساسية للأديان الأخرى"[٢].

ومهما يكن من شيء فالهندوسية "تعتقد بآلهة متعددة وفي الوقت نفسه هي إله واحد أعلى – هو إله واحد– لكنه يظهر نفسه في صور وأشكال غير معدودة إنه موجود يحل في كل الكائنات، وكل الكائنات موجودة تحل فيه فلا يوجد سواه ولا يوجد شيء خارجه"[٣].

إن عقيدة الألوهية عند الهندوس تُعد أصدق تعبير عن فلسفة وحدة الوجود التي ذهب إليها بعض الغلاة من المسلمين، يقول باسيدو" أما عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية؛ لأن بشن[٤] جعل نفسه أرضًا ليستقر الحيوان عليها، وجعله ماء ليغذيهم، وجعله نارًا وريحًا ليُنميهم وينشئهم، وجعله قلبًا لكل واحد منهم"[٥].

كما يؤمن الهندوس بعقيدة الكارما وتناسخ الأرواح التي هي علم على نحلتهم يقول البيروني: "كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي (ص٤٩) مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي (٥٢٩)، ط٢، مكتبة الرشد١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٣) المرجع السابق (ص٢٨)

(٤) الإله فشنو أحد أقانيم الثالوث الهندي يقول البيروني" ويسمّونه «بشن» وهذا الاسم بالقوّة الوسطى أولى بل لا يفرقون بينها وبين العلة الأولى ويذهبون مذهب النصارى في تمييز أسامي الأقانيم بالأب والابن وروح القدس بعضها من بعض وجمعها بجوهر واحد". ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة (ص ٣٠).

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٣٠).

لم يك منها ولم يعدّمن جملتها"[١]. وينكرون النبوة والملائكة[٢].

الخلاص الهندوسي

إنه مما يجب قوله إن الخلاص عند الهندوس على نوعين

النوع الأول: الخلاص الدنيوي

يتم في الدنيا والإنسان على قيد الحياة "فغاية الغايات للإنسان ليس فقط أن يقدم الخير لنفسه وللمجتمع، وليس فقط أن يترفع عن الآلام والبلايا ولكن غاية الغايات هي أن يتمكن من الخلاص من جاذبية الحياة الدنيا التي يعبر عنها بلغة القوم (MOSKA) والخلاص من جاذبية مشاغل الحياة الدنيا ليس بالموت والفناء بل يمكن الحصول على هذه الغاية، والإنسان مازال حيًّا وذلك عن طريق الفداء والتضحية؛ حتي يحصل على رضوان الإله الخالق ووسيلة ذلك هي ممارسة رياضة اليوجا[٣] تلك التي تقوم على أساس من التذكر والتفكير والصمت"[٤].

إن الطريق الموصل للخلاص الدنيوي عند الهندوس هو التضحية والفداء، يدل على ذلك ماورد في الفيدا: "في سالف الزمان كلف الرب الناس بعمل الأضحيات،

---

(١) المرجع السابق (ص٣٨).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم (٨٦/١)، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠م ١٩٩٩م.

(٣) نظام عملي يستند إلى فلسفة تقول إن تطور العالم حدث على مراحل وتحاول اليوجا عكس هذا النظام حتي يستعيد كل فرد ذكر أو أنثى حالته أو حالتها من الطهارة والوعي، وتتضمن عملية اليوجا ثمان مراحل قد تتطلب عدة أعمار لعبورها؛ المرحلتان الأوليان هما إعدادات أخلاقية تؤكد على المبادئ الأخلاقية والطهارة والإخلاص إلى الله تعالى والمرحلتان التاليتان هما تحضيرات بدنية تكيف الجسم لجعله لينا ومرنا وصحيحا، وقد انتشرت النواحي البدنية لليوجا بنجاح ساحق في الغرب. وتتضمن المرحلة الخامسة التحكم في العقل والحواس لكي تبتعد عن الأجسام الخارجية . وتستلزم المراحل الثلاثة الباقية التمتع بحالات مركزة تماما من الوعى تؤدي بشكل مطلق من التحرر من دور الولادة الجديد". ينظر معجم الأديان العالمية (١٠٣٩/٢) مرجع سابق

(٤) آلهة في الأسواق: د/ رءوف شلبي (ص١١٥)، ط٢، دار القلم، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

وقال: بها ستكسبون، وهي ستكون بقرة حلوبًا لمتطلباتكم، عندما تقدم القرابين للآلهة فستحقق أمانيك السعيدة؛ لأن من يتنعم بمنح الآلهة دون مقابل فيكون كالسارق"[١].

وقد فهم الآريون الخلق وكل شكل من أشكاله على أنه أضحية أو قربان، ولقد احتلت الأضحيات مكانة في الدين أهم من مكانة الإله الخالق، وتركزت العبادة على الأضحيات بمعنى: أن المذبح الذي تُقدم عليه الأضحية والحيوان المُضحىَّ به يصبحان موضعا للعبادة والتأمل، وكأنهما الكون نفسه، وكأن ما يضحى به الإنسان هو الكون ذاته وبعد تمام التضحية تبقى فقط الروح أو النفس التي تؤدي الأضحية فالهدف من الأضحية تحقيق الروح[٢]؛ لأن المضحي يعود إلى عالم الآلهة بعد موته[٣] .

ولأن شعيرة الأضاحي أيضًا تعمل على تأكيد إعادة الميلاد (الولادة الجديدة) في السماء لرعاتها رعاة العقيدة أو رعاة شعيرة الأضاحي، لكن هذه الشعيرة تحقق لهم أيضًا منافع مادية دنيوية والأهم من كل هذا أن شعيرة الأضاحي تحفظ نظام الكون وتقيه من الاختلال[٤].

أما بالنسبة للوسيلة العملية للخلاص الدنيوي وهي اليوجا فإنه قبل الحديث عنها تفصيلًا يجب القول: بأن الإنسان – عند الهندوس– كائن ذو طبقات.

الأولى: الأكثر وضوحًا هي جسم الإنسان، الثانية: هي القسم من عقله وتجربته التي يعيها أي: الشخصية المدركَة التي يحس الإنسان بواسطتها الثالثة: وهي حقل ما وراء وعى الفرد الذي نشأ تدريجيًا ويتكون عبر السنين من تجارب الإنسان الخاصة الماضية.

---

(١) فيدا نصوص هندوسية مقدسة(ص٢٤٠) مرجع سابق

(٢) تاريخ الأديان (٦٢-٦٣) مرجع سابق

(٣) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: ميرسيا إلياد (٢٩٣/١)، ترجمة/ عبدالهادي عباس، ط١، دار دمشق ١٩٨٦م.

(٤) موسوعة الأديان الحية: ر.س.زينر (٥٧/٢)، ترجمة د/ عبدالرحمن الشيخ، بدون ط، الهيئة العامة المصرية للكتاب ٢٠١٠م.

هذا "الماوراء وعي" رغم أنه غائب مستور عن الوعى إلا أنه هو الذي يصوغ في الحقيقة حياته بطريقة عميقة الرابعة: هذه الطبقة تقع تحت الأجسام الثلاثة الأخرى، أكثر استتارًا وبعدًا عن إدراك العقل الواعي حتى من وراء وعيه الخاص رغم ارتباطه الحيوي وهذا القسم هو الوجود نفسه الوجود اللامتناهي غير المحدود وغير القابل للإحباط الأزلي السرمدي[١]، وهذه الطبقات التي يتكون منها الإنسان نصت عليها نصوص الفيدا " لفظة " (أوم)[٢] هي البراهمن الذي لا يفسد، هذه الذات – أي: الذات الإنسانية– التي هي واحدة مع (أوم) لها جهات ثلاث وراء هذه الجهات الثلاث توجد الجهة الرابعة المختلفة عنهم وغير المحددة.

الجهة الأولى: "فسفنارا" وتعنى: الذات الشخصية الشاملة تعادل الحرف الأول "أ" كل من يشعر ب"فسفنارا" تتحق كل أمنياته ويصير متميزا بين البشر.

الجهة الثانية:" تاجاسا" وتعنى: الذات الشخصية الشاملة بداخل الكائن تعادل الحرف الثاني"و" "وتاجاسا" وحرف "و" يتواجدان كلاهما في أحلام اليقظة والنوم، كل من يشعر ب "تاجاسا" يصير حكيمًا كبيرًا ومحترمًا.

الجهة الثالثة: "براجنا" وتعني: الذات الشخصية الكونية في حالة نوم خال من الأحلام تعادل الحرف الثالث"م" منبع وأصل كل شيء ونهاية كل شيء وكل من يشعر به له معرفة بكل شيء.

الجهة الرابعة: هي"أوم" الكلمة التي لا تتجزأ هذه الكلمة بعيدة جدا عن الإدراك بها تذوب التعددية في الكون"[٣].

---

(١) أديان العالم: د/ هوستن سميث (٧٨)، تعريب سعد رستم، ط٣، دار الجسور الثقافية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) يقول أبو الريحان البيروني" أوم" هي كلمة التكوين والخلق".ينظر تحقيق ماللهند من مقولة (ص٥٦) مرجع سابق

(٣) فيدا نصوص هندية مقدسة (ص ١٣٥) وما بعدها.

وبهذا يتضح أن الوجود اللامتناهي، الوجود الأزلي السرمدي هو طبقة من طبقات النفس الإنسانية وهو نفسه براهمن يدل على هذا ما جاء في هذه الترنيمة " أنا أصغر من أصغر ذرة، وكذلك أكبر من أكبر جرم أنا الكل المتنوع، المتعدد الأشكال، والألوان، الفاتن البهيج الغريب العجيب أنا القديم، أنا الإنسان الرب، أنا جوهر الذهب أنا مقام الجمال الإلهي بعينه"(١).

وجاء في الأبنشدات(٢)" إن الإنسان في حقيقته الباطنه وجوهره الكامن هو الآتما أو البراهما ...، و عليه أن يشتغل في باطنه ويستغرق فيه ويذعن أنه هو الكل، ويوقن أنه هو الحق الدائم، وأن كل ما سواه باطل زاهق ، فمن أذعن له صار بنفسه كلّا ؛ فلا يتمنى شيئا ولا يميل إلى شيء؛ إذ ليس في الوجود شيء سواه، فلا يرجو ولا يخاف، ولايموت ولا يفسد، ولا يتغير، ولا يتأثر، ولا يجد شيئا ولا يفقد شيئا، وهذا هو السرور الدائم وهو الغاية القصوى للحياة الإنسانية"(٣).

وجاء في الفيدا: "عسى أن يتأمل الإنسان في البراهمن كإلهيّ، وسيصير بنفسه إلهيًا، عسى أن يعبد الإنسان البراهمن كبراهمن، وسيصير هو بدوره براهمن، ذات الإنسان وذات الشمس هو نفس الذات، أنا هو الذات، الذات هي الحياة التي لا تموت"(٤) وأنت ترى أن هذه هي وحدة الوجود في أجلى صورها فذات الإنسان وذات الشمس ذات واحدة هي ذات براهمن التي لا تموت فمالذي يمنع أن يتريض الإنسان برياضة اليوجا حتى يحي هذه الطبقة من وجوده التي هي عين وجود براهمن يقول الدكتور هوستن سميث

---

(١) أديان العالم (ص٧٨).

(٢) " كلمة سنسكريتية مكونة من مقطعين upa بمعنى بالقرب من ni-shad بمعنى يجلس والمقصود يجلس بالقرب من المعلم، وهى تطلق على مجموعة من المحاورات في الفيدا عددها مائة وثمانية محاورات تحتوي فصولا في الشعر والنثر وتجمع بين الفلسفة والدين والأسطورة، وتتضمن المذهب السري الذي كان يسره المعلم إلى تلاميذه المقربين منه" معجم الأديان العالمية (١/١٤٧-١٤٨).

(٣) الفلسفة الهندية القديمة: عبد السلام خان (ص ٣١)، مكتبة رضا رامفور ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٤) فيدا نصوص هندية مقدسة (ص ١٣٤).

" تقول الهندوسية " ماذا لو استطعنا أن نبعث ونحيي شيئًا منسيًا ميتًا ليس من قِبلنا بل من قبل الإنسانية ككل، شيئا يزودنا ليس بمفتاح لغز دوافعنا التي لا تُقاوم، وخصوصيتنا البنيوية والمزاجية فحسب، بل بمفتاح لغز كل الحياة وكل الوجود فماذا نتوقع عند ذاك؟ ألن قد اكتشفنا شيئا ذا أهمية تاريخية؟ ألن نصبح منعمين على الإنسانية ككل"[١].

فإذا كنا باليوجا سنحي هذه الطبقة الرابعة من طبقات الإنسان وهي الطبقة الأزلية السرمدية فما اليوجا ؟ ومتى نمارسها ؟ وكيف نمارسها؟

حقيقة اليوجا

اليوجا: "كلمة سنسكريتية تعني "النير " أو "الاتحاد" مدرسة هامة في الفلسفة الهندوسية، أثر بقوة في الفكر الهندي نصوصها الأساسية هي "سوترا اليوجا" جانبها العملي أهم من النظري ضبط النفس، والجلوس في وضع معين، الامتناع عن ممارسة الجنس ...الخ واستخدام اللفظ بكثرة في الملحمة الهندوسية " المهابهارانا" لتعني المنهج أو النظام، أو الطريق الذي يؤدي إلى الخلاص"[٢].

فقد جاء في الفيدا ما نصه" تكلم الإله فقال" إن مبدأ التركيز اليوجا ليس قابلًا للاضمحلال"[٣].

"إن اليوجا في الحقيقة تجربة عملية لتهذيب النفس، وتدريب جسماني لتصل الروح إلى السمو بعد التخلص من القيود الجسمانية وأثقالها ومتاعبها، وهى توجه عناية كبيرة إلى كل من العقل والجسم، وتمر بأقصى مراحل التدريب العقلي والجسماني، وتنمي الروح والجسد، وتوفر أسباب الصحة والحيوية لهما في هدف التحرر من جميع القيود التي تربط الإنسان وتحجبه عن رؤية الحقيقة العليا أو "براهما"[٤].

---

(١) أديان العالم (ص٧٩).

(٢) معجم ديانات وأساطير العالم: د/ إمام عبدالفتاح إمام (٤٧٤/٣) مكتبة مدبولي بدون تاريخ

(٣) فيدا نصوص هندوسية مقدسة (ص ٢٤٣).

(٤) الهند القديمة حضارتها ودياناتها: د/ محمد إسماعيل الندوي(ص١٠٨) دار الشعب ١٩٧٠م

ويقول جفري بارندر:" اليوجا ممارسة قانون أخلاقي صارم من خلال أوضاع تفضي إلى التأمل وضبط النفس – إلى–" الاستغراق في التأمل"[١].

ومهما يكن من شيء فإن اليوجا هي الوسيلة العملية الصارمة التي يلتزمها الهندوسي ليحقق الخلاص الدنيوي.

متي تُمارس اليوجا؟

ذكر كتاب " مانو – سمريتي" عقيدة اليوجا ووفق ما جاء فيه: "إن حياة الإنسان تنقسم إلى أربع مراحل

المرحلة الأولى: الطفولة، والثانية الشباب، والثالثة: الكهولة، والرابعة الشيخوخة. ويدعو الكتاب الراغبين في اليوجا إلى ممارسة تجربة نفي الذات في المرحلة الثالثة من الحياة، حينما ينتهي الإنسان من أداء معظم واجباته الشخصية من الزواج وإنجاب الأطفال وأداء الطقوس والقرابين الخ ...، وهنا يحتاج إلى التنسك والتبتل لنيل خلود الآخرة ونعيمها بعد مفارقة الروح الجسد ...، وينبغي لسالك هذا الطريق أن يغادر أهله، وكل شيء يملكه متوجهًا إلى غابة، هائمًا على وجهه في وسط أدغالها وبين وحوشها ملتمسًا ظلًا يلتقط تحته أنفاسه، ويعيش معتكفًا ومتأملًا ومستغرقًا، يعاني جميع أنواع التعب والمشقة؛ لتنقية الروح، وتحريرها من القيود الجسمانية ومعوقاتها في الوصول إلى الهدف المنشود"[٢] [٣] إذا لا يبدأ الإنسان حياته بممارسة اليوجا، وإنما ينعم بالحياة ومتعها بتحرر تام من أية قيود إلى أن يبلغ سن الكهولة ثم يشرع في ممارسة اليوجا ليصل إلى الخلاص، وبهذا تذهب فترة القوة والفتوة في الانغماس في الشهوات والملذات وبعد

(١) المعتقدات الدينية لدي الشعوب: د/ جفري بارندر (١٨٦) ترجمة د/ إمام عبدالفتاح إمام مكتبة مدبولي ط٢/١٩٩٦م

(٢) الهند القديمة حضارتها وديانتها (ص ١٠٩) بتصرف يسير . مرجع سابق

٣

أن يكون قاب قوسين أو أدنى من مغادرة الحياة ينصرف عن الحياة انصرافًا تامًا، ومن ثم فالإنسان في ظل عقيدة الهندوس ينغمس في الحياة الدنيا انغماسًا تامًا لا يلوي فيه أي أمر من أمور الآخرة، ثم ينصرف عن الحياة انصرافًا تامًا لا يلوي فيه على أي أمر من أمور الدنيا، بل إن مرحلة الشيخوخة التي تلى مرحلة الكهولة "يدخل فيها الإنسان الذي مرّ بالمراحل السابقة في حياة جديدة، وهي الحياة الرهبانية والمعلمية، ويظهر أمام الناس كالشيخ الكامل المطاع، مرفوع التكليف، ويصير عقلا بلا شهوة، وتحل ناسوتيته في لا هوتيته، فهو معبود يعبد كما يُعبد الله"[١] [٢]، وهذا زيغ وانحراف عن العقيدة الصحيحة مع شطط وقسوة لا تستقيم الحياة معهما قال- تعالى-: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، وأنت ترى أن هذه الآية الكريمة تجمع بين مطالب الروح ومطالب البدن، بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، بين النصيب الدنيوي، والثواب الأخروي.

كيف تُمارس اليوجا

ليس هناك نمط معين لممارسة اليوجا، ولكن لكل نمط من البشر نمط من اليوجا يمارسه فطبقا للتحليل الهندوسي يوجد أربعة أنماط من البشر النمط العقلاني، والنمط العاطفي، والنمط العملي، والنمط التجريبي، ولكل نمط من هذه الأنماط يوجا تناسبه وتعمل على استثمار مواهبه التي ينفرد بها[٣].

جدير بالذكر أنه يوجد قد مشترك بين اليوجات الأربع تمثل "الخطوة الأولى لكل يوجا من اليوجات الأربع هي ضرورة أن يعوِّد الطالب نفسه عن العادات الحسنة الصحيحة مثل عدم الإيذاء، الصدق، عدم السرقة، ضبط النفس، النقاء، والقناعة،

(١) اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص٥٨٩)مرجع سابق
٢

(٣) ينظر أديان العالم (ص ٥٧) مرجع سابق

والانضباط الذاتي، الرغبة الأكيدة القاطعة في الوصول إلى الهدف"[١]. إذا الالتزام بهذه الأخلاق هو القدر المشترك بين اليوجات الأربع.

ومن ثم يستطيع الممارس لرياضة اليوجا أن ينطلق في نمطه الذي يخصه انطلاقة تؤهله للوصول إلى الهدف المنشود. وعلى أية حال فإن أنماط اليوجا كالتالي:

١ – "الطريق إلى الله عبر المعرفة " يوجا المعرفة أو جنانا يوجا– Jananiya Yoga

المخصصة للطامحين الروحيين الذين يتمتعون باستعداد عقلي وقدرة ذهنية قوية هي الطريق إلى الاتحاد بالألوهية عبر المعرفة"[٢]؛ ولذا فإن هذا النمط من اليوجا يتطلب الجمع بين العقل والروح وقد بين البيروني في هذا النمط من الخلاص أن النفس موثوقة بالجهل. وخلاصها يكون بالعلم "إذا أحاطت بالأشياء إحاطة تحديد كلّيّ مميّز مغن عن الاستقراء ناف للشكوك؛ لأنّها إذا فصلّت الموجودات بالحدود عقلت ذاتها وما لها من شرف الديمومة، وللمادّة من خسّة التغيّر والفناء في الصور فاستغنت عنها وتحقّقت أنّ ما كانت تظنّه خيرا ولذّة هو شرّ وشدّة فحصلت على حقيقة المعرفة وأعرضت عن تلبّس المادّة فانقطع الفعل وتخلّصتا بالمباينة"[٣]، فمن تخلص بالمعرفة من جهل ذاته، فإن علمه يضيء مثل الشمس وتلك هي الرفعة"[٤].

ولابد لسلك هذا النمط من أنماط الخلاص أن يقوم بثمانية أشياء ذكرها البيروني بقوله: "ومن بلغ هذه الغاية غلبت قوّته النفسية على قوّته البدنية فمنح الاقتدار على ثمانية أشياء بحصولها يقع الاستغناء.

وأحد تلك الثمانية التمكّن من تلطيف البدن حتى يخفى عن الأعين، والثاني

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٢) المرجع السابق (ص ٥٨).
(٣) تحقيق ماللهند من مقولة (ص٤٩–٥٠) مرجع سابق
(٤) فيدا نصوص هندوسية مقدسة(ص٢٤٨) مرجع سابق

التمكن من تخفيفه حتّى يستوي عنده وطئ الشوك والوحل والتراب، والثالث التمكّن من تعظيمه حتّى يريه في صورة هائلة عجيبة، والرابع التمكّن من الإرادات، والخامس التمكّن من علم ما يروم، والسادس التمكّن من الترؤس على أيّة فرقة طلب، والسابع خضوع المرؤوسين وطاعتهم والثامن انطواء المسافات بينه وبين المقاصد الشاسعة"[١].

فإذا تمكن الشخص من الاقتدار على هذه الأشياء الثمانية تدرج إلى المطلوب في مراتب أربع: "أولاها معرفة الأشياء اسمًا وصفة وتفاصيل غير معطية للحدود، والثانية تجاوز ذلك إلى الحدود الجاعلة جزئيّات الأشياء كلّيّة إلا إنّه لا تخلو فيها من التفصيل

والثالثة زوال ذلك التفصيل والإحاطة بها متّحدة ولكن تحت الزمان، والرابعة تجرّدها عنده عن الزمان، واستغناؤه فيها عن الأسماء والألقاب التي هي آلات الضرورة، وفيها يتحد العقل والعاقل بالمعقول حتى تكون شيئًا واحدا"[٢] وفي هذه المرتبة تتحدد هوية الإنسان، "فينتقل من الجزء الفاني من نفسه إلي التعرف عليها بأنها في الحقيقة الجزء الأزلي السرمدي من كيانه أي: أن هُويته الحقيقة الروح الأزلية"[٣]. وهذه هي الحقيقة التي توصل إليها البيروني في هذا الحوار "عن كيفيّة الخلاص؟ فقال المجيب: إن شئت فقل هو تعطّل القوى الثلاث وعودها إلى المعدن الذي صدرت عنه، وإن شئت فقل هو رجوع النفس عالمة إلى طباعها"[٤]، وهذا هو عين وحدة الوجود.

٢ – الطريق إلى الله عبر الحب (بهاكتي يوجا) Bhaktiyuja

جاء في الفيدا" تكلم الإله فقال: الذين يعبدونني بالتزام، ويركزون أذهانهم بي المتكرسون للإيمان السماوي يعدون بالنسبة لي سادة الالتزام، فأنا من يخلِّص هؤلاء الذين تفكيرهم مركز عليَّ مباشرة من محيط العالم الفاني"[٥].

---

(١) المرجع السابق (ص ٥٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٣).

(٣) أديان العالم(ص٦١) مرجع سابق

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٦١) مرجع سابق

(٥) فيدا نصوص هندوسية مقدسة (ص٢٧٤). مرجع سابق

من هذا النص يتضح أن يوجا الحب تختلف عن يوجا المعرفة بثلاثة أمور:

الأول: "أن الحب عاطفة متجهة خارج الذات فإن "البهاكتي" العاشق المنقطع لله يجعله يرفض كل اقتراح يجعله هو نفسه الله الذي يحبه أو حتى يجعل الله حقيقة النفس الكامنة في أعماقه"(١).

الثاني: هدف البهاكتي – صاحب يوجا الحب– عبادة الله والتفاني في خدمته بكل ذرات حياته"(٢).

الثالث: "إن شخصانية الله ضرورة حتمية لا غنى عنها وهي أبعد ما تكون عن إيجاد حد لله المطلق إن الذي يحبه الإنسان – في الحالة الطبيعية– لابد أن يكون شخصًا

مهمًا كان مجدًا مطلقًا في صفاته وحكمته ورأفته"(٣). أي: أنه ذات منزهة عن النقائص موصوفه بالكمالات لا أنه تعالى وجود مطلق له صور متعددة كما يقول أصحاب وحدة الوجود.

ولكن كيف ينمي هذا الحب لمعبوده؟ " هنا تدخل عالم أساطير الهند ورموزها العظيمة ومئات التماثيل التي صنعتها لله...، ولكنها ليست مرادة لذاتها...، إنها مجرد مجاري ومعابر تنطلق منها روح الإنسان المثقلة بالحواس لتطير من الأحد نحو الأحد"(٤).

وأنت ترى أن هذه هي الوثنية بعينها التي تتخذ الوسطاء والشفعاء سبيلًا للوصول إلى الله وقد رفضها المولى – سبحانه– وبين بطلانها بقوله– تعالى–: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ

(١) أديان العالم (ص٦٤) مرجع سابق
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة
(٣) المرجع السابق (ص ٦٥).
(٤) المرجع السابق (ص٦٥-٦٦).

كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

٣ – الطريق إلى الله عبر العمل (الكارما يوجا[١]) Karma Yoga

الكارما كلمة سنسكريتية معناها الحرفي الفعل، ومصطلح أساسي في ديانة الهند التي تذهب إلى هذه الحياة هي حلقة في سلسلة حيوات يحياها المرء يحددها فعله في الحياة السابقة[٢]" فالكارما هي قانون الحياة "يقول الكهنة هناك قانون للحياة يقول (جزاء الخير خير مثله ، وعقاب الشر شر مثله) وهذا القانون اسمه الكارما[٣]" والثواب والعقاب في الحياة وبعد الموت" فالنتائج والثمار تترتب على الحركات والأعمال التي تصدر من الإنسان، ولا تذهب أية حركة عبثا، ولا يذهب أي عمل سدي[٤]" والعمل الصالح لا يكون إلا بقمع الشهوة والغضب وفعل الصالحات وترك المنكرات" والتزام السيرة الفاضلة وتعويد النفس فيها حتّى تصير لها طبيعة وصفة ذاتيّة، والسيرة الفاضلة هي التي يفرضها الدين. وأصوله بعد كثرة الفروع عندهم راجعة إلى جوامع عدة هي أن لا يقتل، ولا يكذب، ولا يسرق، ولا يزني، ولا يدّخر ثم يلزم القدس والطهارة ويديم الصوم والتقشّف ويعتصم بعبادة الله تسبيحا وتمجيدا[٥]" ومن العمل الصالح العبادة وهى تشمل البدن، والصوت، والقلب " فعلى البدن الصوم، والصلاة، وموجبات الشريعة، وخدمة الملائكة، وعلماء البراهمة، وتنظيف البدن، والتبرّؤ من القتل أصلًا ومن ملاحظة ما للغير من النساء وغيرهنّ. وعلى الصوت القراءة، والتسبيح، ولزوم الصدق، وملاينة الناس وإرشادهم، وأمرهم بالمعروف. وعلى القلب تقويم النيّة، وترك التعظّم، ولزوم

---

(١) المرجع السابق(ص٦٩).

(٢) معجم ديانات وأساطير العالم (٢/٢٦٥) مرجع سابق

(٣) قصة الديانات (ص ٧٣) مرجع سابق

(٤) الهند القديمة حضارتها وديانتها (ص١٠٥) مرجع سابق

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٥٦). مرجع سابق

التأنّي وجمع الحواسّ مع انشراح الصدر"[١].

وبالعمل الصالح يحصل الإنسان الخلاص الدنيوي فقدة جاء في الفيدا: "رهبان اليوجا يؤدون العمل المجرد من كل قيد، من أجل نقاء نفوسهم وأجسامهم وعقولهم وأحاسيسهم"[٢].

وعمل الإنسان سواء كان خيرًا أو شرًا سيكون له تأثير فيما بعد على مصير الروح في عالم التناسخ.

٤ – الطريق إلى الله عبر التمارين والرياضة النفسانية (اليوجا الملكية[٣]) Raj Yoga

فالخلاص لا يتحقق لسالك هذا الطريق إلا برياضات عنيفة، وتمارين قاسية من ذلك أنه يعيش في العراء فلا تكون له "خيمة تظلله ولا نار تعد الطعام له، ولا معين يعينه؛ بل يكون وحيدا فريدًا بعيدًا عن كل الشهوات واللذات، ونعيم الدنيا وزخارفها، ولا ينبغي له أثناء هذه التجارب أن يتمنى الموت، أو يشتهى الحياة؛ بل يتوقف وينتظر بلوغ الهدف، ولا يكون همه ورغبته إلا التحرير من القيود الجسمانية للوصول إلى البغية والمعرفة الحقيقية"[٤].

واليوجا الملكية أو الراج يوجا تصل بالإنسان إلى الخلاص؛ لأن اليوجا تكسب إدراكًا وقدرة خارقتين؛ لأنه إذا نفضت عن الروح كل آثار الخضوع للجسد، واشتباكها فيه، فإنها لا تتحد مع براهما فقط؛ بل تصبح نفسه، إذ أن براهما ليس إلا ذلك الأساس الروحي والخبيء، ذلك الروح اللارمادي الذي يتفرد بنفس، والذي يبقي بعد أن تطرد بالرياضة أعلاق الحواس، إلى هذا الحد تستطيع أن تكون براهما، بحيث تمارس

(١) المرجع السابق (ص٦٠-٦١).
(٢) فيد نصوص هندوسية مقدسة (ص ٢٤٨) مرجع سابق
(٣) أديان العالم (ص ٦٧) مرجع سابق
(٤) الهند القديمة حضارتها وديانتها (ص ١٠٩-١١٠) بتصرف مرجع سابق

ذكاء برهميا، وقوة برهمية"[١].

جاء في الفيدا: "من يترك جسده الفاني، ويكرر أدعيات الكهنة بمقطع واحد ويفكر بي يذهب إلى الفردوس الأعلى"[٢].

ومما سبق يتضح أن الخلاص في الدنيا يتم عبر رياضة اليوجا بأحد مسالكها الأربعة " فهذه الفواصل الأربعة كلها مساو للبعض، وكلها يؤدي إلى بعض وكلها مساو في الوسيلة التي تؤدي إلى الغاية وهي الخلاص والسعادة والسرور"[٣]، ولكن عبر النمط الذي يلائم شخصية راغب الخلاص من أنماط اليوجا كما سبق البيان.

وعلى أية حال فإن هذا النوع من الخلاص الهندوسي خلاص ما أنزل الله به من سلطان فالهنود الذين يبغون الخلاص الدنيوي قد سلكوا في الوصول إلى معرفة الله وحبه طرقا مخترعة من عند أنفسهم؛ ليصلوا به إلى الاتحاد مع براهمن، وهذا وهمٌ عشعش في عقولهم، وران على قلوبهم فلا الوسيلة مشروعة، ولا الغاية متاحة إنما هي أوهام تسلم إلى أوهام وعقول تفهم لا كسائر الأفهام فمن قال: بأن الحادث من الممكن أن يتحد مع القديم؟ ومن قال بأن الحادث قد يعود قديما، أو أن القديم قد ينقلب حادثا مع أن القاعدة العقلية التي أطبق عليها العقلاء "ما وجب قدمه استحال عدمه"[٤].

ويقول صاحب الجوهرة:

وكـــل مـــا جـــاز عليـــه العـــدم عليـــه قطعـــا يســـتحيل القـــدم[٥]

والله- تعالى- قد وجب له القدم فهو سبحانه موجود في طرف الأزل، وباق في

---

(١) معتقدات آسيوية: د/ كامل سعفان (ص ٢٤٠)، دار الندى ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م

(٢) فيدا نصوص هندوسية مقدسة(ص٢٥٩) مرجع سابق

(٣) آلهة في الأسواق (ص ١١٦) مرجع سابق

(٤) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد: لأحمد بن محمد المالكي الصاوي (ص١٥٠)، تحقيق د/ عبدالفتاح البزم، ط١٠، دار ابن كثير ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

(٥) المرجع السابق (ص١٢٩).

طرف الأبد لا يشوب بقاءه عدم، ولا يلازمه حدوث؛ لأنه مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث

ويقول أيضًا صاحب الجوهرة:

فواجـــب لـــه الوجـــود والقـــدم كـــذا بقـــاء لا يشـــاب بالعـــدم[1]

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣].

أما الذين يبغون الوصول إلى الله عبر العمل والزهد فهم ينتهجون رياضات عنيفة تتصادم مع طبيعة الحياة نفسها، ولم يترل بها وحى، ولم يمارسها نبي أو رسول؛ ولذا فإن النصارى لما ابتدعوا الرهبنة، ما كان الله قد كتبها عليهم، مع أن الله قبلها منهم أول الأمر، ولكن لما خرجت الرهبنة عن مسارها الصحيح، وصارت مناقضة لرسالة الإنسان في الحياة التي هي عمران الأرض في ظل منهج الله رفضها الله منهم وردها عليهم قال- تعالى-: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

النوع الثاني: الخلاص الأخروي

إن الهندوس يعتقدون "أنّ الأرواح غير مائتة ولا متغيّرة وإنّما تتردّد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثمّ الشيوخة التي عقباها موت البدن ثمّ العود، فكيف يذكر الموت والقتل من عرف أنّ النفس أبديّة الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يغصّها ولا ريح تيبّسها لكنّها تنتقل عن بدنها إذا عتق نحو آخر"[2].

(١) المرجع السابق (ص ١٥١).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٣٩) مرجع سابق

هذه هي حقيقة الروح عندهم ولذا فإن الخلاص الأخروي هو الذي يتم بعد مفارقة الروح للجسد بالموت فما السبيل إلى إليه عند الهندوس؟ الطريقة الوحيدة لهذا النوع من الخلاص هي التناسخ "فقد زعموا–أي الهنود– أن النفس بالفعل جاهلة بذاتها وبما تحتها من المادة، تواقة إلى الإحاطة بما لا تعرف، ظانة أن لا قوام لها إلا بالمادة، فتشتاق إلى الخير الذي هو البقاء، وتروم الاطلاع على ما هو منها مستور فتنبعث للاتحاد بها"[١]، وإذا كانت النفس على هذا الحال من الجهل ولم تكن عاقلة "لم تُحط بالمطلوب إحاطة كلّيّة دفعة بلا زمان واحتاجت إلى تتّبع الجزئيّات واستقراء الممكنات وهي وإن كانت متناهية فلعددها المتناهي كثرة والإتيان على الكثرة مضطرّ الى مدّة ذات فسحة ولهذا لا يحصل العلم للنفس إلّا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والأحوال حتّى يحصل لها في كل واحد تجربة وتستفيد بها جديد معرفة فالأرواح الباقية تتردّد لذلك في الأبدان البالية بحسب افتنان الأفعال إلى الخير والشرّ ليكون التردّد في الثواب منبها على الخير فتحرص على الاستكثار منه وفي العقاب على الشرّ والمكروه فتبالغ في التباعد عنه ويصير التردّد من الأرذل إلى الأفضل دون عكسه؛ لأنّه يحتمل كليهما ويقتضي اختلاف المراتب فيهما لاختلاف الأفاعيل بتباين الأمزجة ومقادير الازدواجات في الكمّيّة والكيفيّة، فهذا هو التناسخ"[٢] الذي هو جوهر العقيدة الهندوسية يقول الشهرستاني: "فأما تناسخية الهند فأشد اعتقادا لذلك"[٣] أي: للتناسخ، وبعبارة أخرى أكثر وضوحًا فإن التناسخ يعنى: "تكرار الولادة والوفاة عقابا لمن لم يستطيعوا أن يندمجوا في الكل الذي هو الإله، وليس التناسخ والحلول وقفا على الإنسان الذي عمل شرًا فمات، فليس حتمًا أن تنتقل روحه إلى إنسان، بل يجوز أن تحل في كلب أو شجرة، وما يزال تكرار الوفاة فالولادة إلى أبد الآبدين إذا لم تستطع أن تتجرد من

(١) المرجع السابق (ص٣٤)

(٢) المرجع السابق (ص ٣٨) بتصرف يسير

(٣) الملل والنحل (١٠٠/٣) مرجع سابق

الشهوات تجردًا تامًا يصعد بها إلى حيث يمكنها الاتحاد في الكل"[١]، وهذا هو الهدف الذي يسعى الهندوس إلى تحقيقه والوصول إليه "فهم يعتقدون أن الأرواح جائلة متنقلة في أطوار شتى من الوجود، تنتقل من جسد إلى جسد آخر سواء كان في الإنسان أو الحيوان في طريقها إلى هدفها الأخير"[٢]، والداعي إلى هذا التناسخ، أو تجوال الروح، أو تكرار المولد كما يُسمى هو " أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد هذا أولا، وثانيًا فإنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقات الآخرين لابد من أدائها فلا مناص إذا من أن تستوفي شهواتها في حيوات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة"[٣].

ولكن الذي يتحكم في عملية التناسخ أو تجوال الروح أو تكرار المولد الذي يتحكم فيه هو الكارما أي العمل فالإنسان عندما يموت تخرج روحه من جسده، وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوه فإذا كان الإنسان ممن يحيون حياة طيبة صالحة ولد في طائفة أعلى بينما يولد في طائفة أدنى إذا كان يحيا حياة فاسدة مليئة بالشر"[٤].

جاء في توراة براهما: "إن الروح التي تعمل الصالحات دومًا، وترتكب شيئًا قليلًا من السيئات تنال النعيم في الملكوت الأعلى ملتبسة بهذه العناصر نفسها.

وأما إذا كانت ترتكب السيئات في غالب الأحيان وتأتي بقليل من الحسنات فإنها تنال عقابها بعد الموت"[٥].

ولذا يعد الكارما: "أساس التناسخ فإن الظالم قد ينتهي دون أن يذوق عقاب

---

(١) الديانات والعقائد في مختلف العصور أحمد عبد الغفور عطار (١/١٠٢-١٠٣) ط١/١٤٠١هـ ١٩٨٩م

(٢) أديان العالم الكبرى حبيب سعيد (ص٣٠) دار الشرق والغرب

(٣) ثقافة الهند وواجهاتها الروحية (ص٤٢) نقلا عن أديان الهند الكبرى (ص٦١) مرجع سابق وينظر أيضا مقارنة الأديان والاستشراق د/ أحمد شلبي (ص٢٥٩) معهد الدراسات الإسلامية

(٤) قصة الديانات (ص ٧٣) مرجع سابق.

(٥) توراة براهما شريعة الهندوس: د/ منذر الحايك (ص٣٧٩)، (١٢: ٢٠-٢١)، ط١، دار صفحات ٢٠٢٠م

ظلمه فلجأ الهندوس إلى إيجاد عقيدة التناسخ حتي لا يفر المرء من الكارما"[١]. أي: من جزاء عمله "فالكارما هي الجزاء الحتمي الذي يلازم المرء ولا تمحوه توبة أو ندم، وقد يأتي في صورة مرض أو نكبة أخرى، وهى فكرة جامدة تلازم المرء في حياته، وتنتقل معه من حياة إلى حياة"[٢].

فالاندماج في الكلِّ أو الاتحاد مع براهما: "إنما هو سبب عن العمل الصالح فكارما لا يظلم وقانونه لا يرحم الإنسان بعمله إن شرًا فشر، وإن خيرًا فخير، هو نفسه يكتب بيده شقاءه أو سعادته والكارما ليس إلها، ولكنه يتحكم في الآلهة وفي الناس وفي غيرهم"[٣].

وأنت ترى أن العلاقة بين الكارما والتناسخ علاقة علة ومعلول فإذا كان الإنسان في الدنيا قد عمل خيرا ترقت روحه عبر التناسخ في أجسام شريفة إلى أن تتحد بالذات الأسمى " فروح الإنسان تسمى أتمان وهى روح مصغرة للروح العالمية التي هي روح البراهما ...، فهناك إذا توحد الأتمان في البراهما، أو روح الإنسان في روح العالم، إنها وحدة الوجود والفكر ، وحدة الإنسان والإله"[٤].

وإذا كان الإنسان قد عمل شرا تدنت روحه وانحدرت عبر أجسام خسيسة هكذا بلا نهاية "فقد سأل بعض الناس: ما الذي يحدث للإنسان إذا هو استمر يحيا حياة فاسدة بعد حياة أخرى أكثر فسادا؟!

أجاب الكهنة: مثل هذا الإنسان يظل يولد في طائفة أدنى من طائفته مرة بعد

---

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص٦٢٩-٦٣٠) مرجع سابق.

(٢) الهند تاريخها تقاليدها جغرافيتها محمد مرسي أبو الليل (ص٦١) مرجع سابق.

(٣) الديانات والعقائد في مختلف العصور (ص١٠٣-١٠٤) مرجع سابق.

(٤) تاريخ الأديان د/ محمد خليفة حسن (ص٦٥) بتصرف مرجع سابق، وانظر الهند القديمة حضارتها ودياناتها (ص١٠٤) مرجع سابق.

أخرى[١]" فقد تُولد روحه في جسد عليل أو في حيوان، أو في فيل ثم في كلب ثم برغوث ثم في بعوضة[٢].

ويقول البيروني: "والتردّد في النبات والحيوان سافلا عنها للعذاب والعقاب المستأهل مدّة على سوء الصنيعة ولا يرى جهنّم إلّا هذا الانحطاط عن البشريّة؛ وهذه كلُّها من أجل أنّ طلب الخلاص من الرباط ربّما لم يكن على طريقه المستقيم المؤدّي إلى العلم اليقين بل على طرق مظنونة وبالتقليد مأخوذة"[٣].

وإذا كان التناسخ عبر الكارما يجعل الروح الخير ينطلق من أسر التناسخ المتكرر ليصل إلى درجة الخلاص "الانطلاق" التي تعني النجاة وهى حال الروح الذي بقي صالحا في دورات تناسخية متعاقبة، ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد؛ فيحصل له النرفانا "الانطلاق" "النجاة" من الجولان وتتحد الروح بالخالق"[٤].

فكلٌ من النفس والمادة يحصل لهما كمال الغرض من الجهتين "أمّا من جهة السفل ففناء ما عند المادّة من الصورة إلّا الإعادة المرغوب عنها، وأمّا من جهة العلوّ فذهاب شوق النفس بعلمها ما لم تعلم واستيقانها شرف ذاتها وقوامها لا بغيرها واستغناءها عن المادّة بعد إحاطتها بخساستها، وعدم البقاء في صورها، والمحصول في محسوسها، والخبر في ملاذّها فتعرض عنها وينحلّ الرباط وينقصم الاتّصال ويقع الفرقة والانفصال والعود إلى المعدن فائزة من سعادة العلم بمثل ما يأخذه السمسم من العدد والأنوار فلا يفارق دهنه بعد ذلك ويتحد العاقل والمعقول ويصير واحدًا"[٥].

إذا كان هذا هو المآل الذي سينتهي إليه الروح الخير في تجواله التناسخي المستمر

---

(١) قصة الديانات (ص ٧٣) مرجع سابق.

(٢) ينظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٤٧) مرجع سابق.

(٤) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص٦٣٠) مرجع سابق

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٣٩) مرجع سابق.

فما المآل الذي سيؤول إليه الروح الشرير بعد هذا التجوال التناسخي المستمر ؟ أم أنها ستظل في حالة من الميلاد المتكرر الذي لا ينتهى.

وللإجابة عن هذا السؤال أقول : إن كسر هذا الأسر التناسخي الذي أحاط بالروح فجعله في محبس لا فكاك له منه لن يكون من الداخل أي من داخل عملية التناسخ التي تحددها الكارما، لابد من عامل خارجي.

هذا العامل الخارجي هو الإله فشنو إله الحفظ "الذي يحقق خلاص الروح من تراكم الكارما وسجن الميلاد والممات المتكرر، فالاعتماد على فشنو، والتوكل عليه، والتأمل فيه، وتكريس العبادة له، وتركيز الفكر عليه يحقق الخلاص من محيط الوجود المقيد بالموت والحياة المتكررة"(١) ومعلوم أن الإله فشنو هو أحد أقانيم الثالوث الهندي المكوّن من الإله براهما الخالق، والإله فشنو الحافظ، والإله شيفًا المدمر! وبالتالي فإن الإله فشنو هو الذي قام بعملية إنقاذ الروح الشرير المثقل بالخطايا من أسر التناسخ الذي لا يكاد ينتهي. وهذا عين ما ذهب إليه النصارى(٢) من قولهم بعقيدة التثليث أي: أن الله واحد مثلث الأقانيم يقول- تعالى-: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠]

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور"والمضاهاة: المشابهة، وإسنادها إلى القائلين : على تقدير مضاف ظاهرٍ من الكلام، أي: يضاهي قولُهم والذين كفروا من قبل (هم المشركون: من

---

(١) تاريخ الأديان د/ محمد خليفة حسن (ص٧٠-٧١). مرجع سابق.

(٢) ينظر: مقارنات الأديان: محمد أبو زهرة (ص٢٦-٣٧) دار الفكر العربي وينظر أيضا تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د/أحمد على عجيبة ص ٣٩٠ وما بعدها وص٤٩٣، وما بعدها وص ٥٧٢ وما بعدها دار الآفاق العربية ط١/ ٢٠٠٦م.

العرب، ومن اليونان، وغيرهم)، وكونُهم من قَبل النصارى ظاهر"[١].

ومهما يكن من شيء فإن هذا النوع من الخلاص به عدة عقد تحيله خرافة من الخرافات، وأسطورة من الأساطير هي:

١ – أن الروح في دورته الحالية لا يعرف شيئا عن الروح في دورته السابقة فهناك انقطاع بين الدورتين فكيف يُحاسب الروح على شيء لا علم له به إذ يوجد انقطاع بين دورات الروح المختلفة[٢] ولذ أُخذ على ناموس التناسخ الهندوسي "أن الذاكرة لا تتخطى الثغرة القائمة بين وجود وآخر، وقد قيل أن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد، ولكن من المتعذر علينا أن نرى القيمة الأدبية في عقاب يحل بحياة عن أعمال في حياة سابقة لها، إن لم يكن هناك شعور يقرن الحياتين معا"[٣].

٢ – " الأعمال التي يأتيها المرء في وجوده الحاضر صالحة كانت أو شريرة، تهيء طورًا جديدًا للتفكير والاستغفار؛ وكأن كل إنسان مربوط إلى عجلة تدور دورات متتاليات لتقرير مصيره المحتوم في نهاية الأمر، وهو لا يقدر أن يوقف أو يبدل عملية هذا التطور والدوران المستمر، ولا يمكن لأي إنسان آخر أن يعينه في ذلك"[٤].

٣ – " هدف الحياة الأسمى هو الانطلاق من دورات الوجود المتتالية، وهذا الانطلاق لن يُكتسب بالأعمال الصالحة؛ لأن الأعمال الصالحة تنتج ثمارها عن طريق الميلاد المتكرر، كما تفعل الأعمال الشريرة تمامًا، إنما يجيء الانطلاق عن طريق الاستنارة الإلهية...، وليس للأعمال الصالحة شأن في الانطلاق المروم، إنما عن طريق التأمل

---

(١) التحرير والتنوير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٦٩/١٠) دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص ٦٢) مرجع سابق.

(٣) أديان العالم الكبرى حبيب سعيد(ص٣٢) مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق (ص٣١).

والزهد تقف دورات الحياة، ويبطل تطور الوجود، ويتحد الإنسان بالله"[١].

ومما سبق يتضح أن الكرما التي هي أساس عملية التناسخ لم تعد فاعلة في الوصول إلى الخلاص؛ لأن الخلاص قد تم عبر طريق آخر هو الزهد أو تدخل فشنو إله الحفظ!. وهذا يجعل من التناسخ الهندوسي وهما كبيرا سقط فيه مئات ملايين[٢] من البشر دون أن يكون معهم أثارة من علم أو أن يقدموا دليلًا واحدًا على ما يقولون، هذا مع الاختلاف القائم بينهم في عمومية الخلاص يقول البيروني: "وأمّا الخلاص فقد اختلفوا فيمن هو معدّ له من هذه الطبقات فقال بعضهم: إنّه ليس لغير «البراهمة» وقال المحققون منهم: إنّ الخلاص مشترك الطبقات ولجميع نوع الإنس إذا حصلت لهم النيّة بالتمام"[٣]. قال- تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

ويقول أمير الشعراء:

أبوا عليك الخروج من أوهامهم ... والناس في أوهامهم سجناء

ومن العقول جداول وجلامد ... ومن النفوس حرائر وإماء[٤]

---

(١) المرجع السابق (ص٣٣).

(٢) " يوجد في بداية القرن الحادي والعشرين أكثر من ثمانمائة وخمسين مليون هندوسي حول العالم " معجم الأديان العالمية(٢/٩٥٦) مرجع سابق

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٧٩) مرجع سابق

(٤) الشوقيات أحمد شوقي (١/٤٤) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط١ بدون تاريخ

المبحث الثاني

الخلاص في الديانة البوذية

البوذية ديانة هندية، نشأت ردًا على الممارسات الهندوسية التي لم تكن لتروق لجموع المجتمع الهندي، ومن ثم فإنها: "حركة دينية إصلاحية ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد[١]علي يد أحد المنشقين عن الديانة الهندوسية ويسمي بوذا أي: المستنير"[٢] ولد سدهارتا جوتاما الملقَّب ببوذا (٥٦٠- ٤٨٠ق.م) ويلقب بسكيا موني ومعناه المعتكف، وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال شمال الهند، وكان أميرًا فشب مترفا في النعيم، وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجه منصرفا إلى الزهد والتقشف، والخشونة في المعيشة، والتأمل في الكون، ورياضة النفس، وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات، ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون"[٣] وقد أحيط ميلاد بوذا وحياته بعدد كبير من الأساطير مثل أنه ولد بغير أب، ومنها أن دخل إلى بطن أمه في صورة فيل أبيض، ومنها أن الشجرة التي حصل له الكشف تحتها شجرة مقدسة، وتسمى بشجرة العلم[٤].

ويقرر الإمام الشهرستاني أن البوذية هم أتباع البدّ أي: بوذا وأنهم يعتقدون في هذه الأساطير يقول: "أصحاب البددة ومعنى البد عندهم: شخص في هذا العالم، لا يولد ولا يَنكح، ولا يَطعم، ولا يَشرب، ولا يَهرم، ولا يموت، وأول بدّ ظهر في العالم اسمه

---

(١) الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان مذاهب وديانات قديمة: د/ سليم إلياس (١٣٨/١) مركز الشرق الأوسط الثقافي.

(٢) بوذا: كلمة سنسكريتية معناها الشخص المستنير لقب وليس اسما، ويعتقد البوذيون أن هناك عددا لا نهائيا من بوذا في الماضي والمستقبل، ويشار إلى بوذا التاريخي بوصفه جواتاما بوذا أو ببساطة بوصفه بوذا" معجم الأديان العالمية (٢٢٢/١-٢٢٣). مرجع سابق

(٣) موسوعة أديان العالم: توماس جيتس جيفرسون (ص١١٦) بتصرف يسير ، المصرية للنشر والتوزيع.

(٤) ينظر: تاريخ الأديان (ص٨٠) وما بعدها، الأديان القديمة: د/حسن الهواري (ص٩٥) وما بعدها ط٢/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

شاكمين وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره إلى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة"[١].

وعلى أية حال فقد تفانى بوذا في الدعوة إلى مبادئه حتى ألقي عصا التسيار وبلغ الكتاب أجله، وهو ابن ثمانين عامًا، ولكون بوذا لم يترك مدونات مكتوبة، إنما كانت تعاليمه تُنقل شفاها بين أتباعة ومن ثم فقد حدث خلاف بين أتباعه بسبب تطاول الأزمان وتعاقب السنيين والأعوام أدي إلى انقسامهم إلى مدرستين كبيرتين:

الأولى: بوذية الهينايانا (الوسيلة الصغرى): وهى مبنية على تعاليم البوذا النظرية المجردة التي سلكت المنهج الروحي الذي سلكه وأسسه بوذا[٢].

الثانية: بوذية المهايانا (الوسيلة الكبر ى للخلاص): وقد نشأت هذه المدرسة البوذية "في القرن الأول للميلاد، وسعت إلى تحويل البوذية من ديانة النخبة أو القلة إلى ديانة تبشرية عالمية، كما أنها سعت إلى تحويل الخلاص لأكبر عدد ممكن من الناس بدلًا من الخلاص الفردي الذي ركزت عليه بوذية الهينايانا[٣].

ويمكن حصر الخلاف بين المدرستين في النقاط التالية:

١ – عقيدة وجود إله خالق

٢ – شخصية بوذا أهو رجل تم له التنوير والإشراق، أم هو متجسد الإله؟ سبحان الله عما يصفون.

٣ – البوذوية (بوذاهود) أهي ميزة تكتسب بالتزام قوانين البوذية أم هي صفة طبعية في جميع الكائنات يستطيع الإنسان تنميتها بالتزام القوانين[٤].

---

(١) الملل والنحل (٩٧/٣).

(٢) تاريخ الأديان (ص ٩١) مرجع سابق

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة بتصرف يسير.

(٤) نزعة الزهد بين البوذية والتصوف الإسلامي: د/ لقمان لوالوافي (ص١٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٨م.

هذه هي المسائل الرئيسة التي هي محل الخلاف بين المدرستين البوذيتين، ففي عقيدة الهينايانا ليس هناك إله خالق، وأن بوذا رجل تم له التنوير والإشراق، وأن البوذوية تكسب بالتزام قوانين البوذية، أما في عقيدة المهايانا فهناك إله خالق، وبوذا متجسد لذلك الإله، والبوذوية صفة طبيعية في جميع الإنسان والكائنات[١].

ومهما يكن من شيء فإن تعاليم بوذا تعد مناقضة للهندوسية من ناحية، وتعد رؤية فلسفية للخلاص من ناحية أخرى، ومن ثم فليست البوذية حسبما أرى عقيدة إنما هي فلسفة للخلاص تناقض رؤية الهندوس له.

فأما عن مناقضة البوذية للهندوسية فإن الهندوسية تثبت حقيقة مطلقة لها صور متعددة من الآلهة بينما بوذا له موقف غامض من قضية الألوهية وقضية الآخرة (المبدأ والمنتهى)، "فلا يوجد في تعاليمه ومبادئه أثر يدل على إيمانه بإله واحد أو عدة آلهة أي بالتوحيد ولا بالوثنية، ومن هنا اعتقد بعض الباحثين أنه كان وجوديًا أي: ملحدًا، ومن ثم لا يحاول أحد من البوذيين الخوض والتفكير في الله ووجوده وذاته مطلقًا، وواجبات الإنسان نحو الله في حياته؛ لأن بوذا لم يدع إلى هذه الأمور، ولم يكلف أحدا بالخوض في هذه المسائل التي لا تعنيه ولا تجديه في الحياة[٢]، بل ربما سخر من فكرة الإله[٣]، فقد وقف ذات يوم خطيبًا في الناس وقال: "إن المشايخ الذين يتكلمون عن الله، وهم لم يروه وجها لوجه، كالعاشق الذي يذوب كمدا وهو لا يعرف من هي حبيبته، أو الذي يبني السلم وهو لا يدري أن يوجد القصر[٤]"، إن بوذا يتهكم على الفلاسفة الذين يشغلون أنفسهم بقضايا الوجود والخلود فيقول: "إن الآلهة أنفسها لو كان لها وجود لما كان في

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) الهند القديمة حضارتها وديانتها (ص١٥٠) مرجع سابق.

(٣) إنجيل بودا: د/ منذر الحايك (ص ٢٣) دار صفحات ط١/٢٠٢٠م.

(٤) ثقافة الهند: رادها كرشنن (ص ٢) نقلا عن أديان الهند الكبرى: د/ أحمد شلبي (ص١٦٢) مرجع سابق.

وسعها أن تجيب على هذه الأسئلة"[١].

وهذا أمر محير كما يقول وِل ديورَانت: "إنك لن تجد في تاريخ الديانات ما هو أغرب من بوذا يؤسس ديانة عالمية، ومع ذلك يأبى أن يدخل في نقاش عن الأبدية والخلود والله؛ فاللانهائي أسطورة- كما يقول- وخرافة من خرافة الفلاسفة، الذين ليس لديهم من التواضع ما يعترفون به بأن الذرة يستحيل عليها أن تفهم الكون؛ وإنه ليبتسم ساخرًا من المحاورة في موضوع نهائية الكون أو لا نهائيته"[٢].

ويوجد رأي آخر يذهب إلى أن بوذا كان لا أدريًا فقد توقف في قضية الألوهية، فلم يتعرض لها بنفي ولا إثبات، فلا يوجد نص صر يح يدل على إنكاره الله، بل كل ما نراه هو موقف الصمت الرهيب والسكوت الكامل إزاء الله، لا نفي ولا إثبات، موقف سلبى تمامًا شأنه شأن (نرفانا) عقيدة الآخرة[٣]، ومما سبق يتضح أن بوذا تتجاذبه " اللاأدرية والإلحاد ولكن لا يحارب من يعتقد في الآلهة، وإنما يسخر بمن يوجهون صلواتهم وأدعيتهم للمجهول؛ إذ لا حاجة لهم به؛ لأن الإنسان وحده هو الذي يصنع مصيره ...، إن في فلسفة بوذا وأقواله، وتعليماته لاهوتا بدون إله، وعقائد بغير دين ، وخلقًا بدون خالق، ودينا بغير ديان"[٤].

وإذا كان موقف بوذا قد بدا متأرجحًا في قضية الألوهية بين النفي والتوقف، فإنه كان ثائرًا رافضًا للكهنوت، ونظام التقسيم الطبقي، لكنه لم يرفع سيفا ولم يقاتل أحدا، ولم يكره أحدًا على إتباعه، بل ولم يطلب من أحد أن يتبعه"[٥].

---

(١) الديانات والعقائد في مختلف العصور(ص١٢٥) مرجع سابق.

(٢) قصة الحضارة: وِل ديورَانت (٧٨/٣)، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين دار الجيل، بيروت- لبنان١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) الهند القديمة حضارتها وديانتها (ص١٥٠) مرجع سابق.

(٤) الديانات والعقائد في مختلف العصور(ص١٢٦) مرجع سابق.

(٥) إنجيل بودا: د/ منذر الحايك (ص ٢٢) مرجع سابق.

الخلاص البوذي

لقد حدد بوذا المشكلة التي سيكون منها الخلاص "وهي الشقاء الإنساني"، وقد تبلورت هذه الفكرة في عقله من خلال مشاهدات شاهدها استرعته ولفتت انتباهه ففي يوم من الأيام – وكان بوذا في سن التاسعة والعشرين من عمره " استرعى نظره شيخ عجوز يتوكأ على عصاه ، وقد أوهنه المرض والهرم ، وأحنت ظهره السنون فتأثر – سيدهاتا– ورق له، واضطربت نفسه بأفكار عن سر الحياة وقيمتها وجدواها، مادام هذا هو مصير الناس.

ومرة أخرى يلقي مريضًا يئن والناس حوله لا يملكون شيئا، ومر بجنازة رجل محمول إلى حيث يحرق، فانفعلت نفسه بتأملات في حقيقة الموت وإلى أين يمضى الناس"[(١)] تأمل الأمير الشاب في تلك المشاهد التي عرضت له ففكر وقدر ، كيف يخلّص الناس من هذا الشقاء ؟ وبالفعل اختط بوذا منهجًا للخلاص، من يسير عليه سيتخلص من الشرور والآثام التي تعج بها الحياة ! وهذا المنهج البوذي في الخلاص لا صلة له بالخلاص الهندوسي هذا من ناحية، ومن ناحية فإن الخلاص البوذي على طريقتين:

الأولى: طريقة العوام في الوصول إلى الخلاص (الخلاص الجماعي)

إن جوهر البوذية هو الخلاص، ولا يوجد عند بوذا شيء غيره حتى اعتقد فيه قسم كبير من المؤمنين به فيما بعد بأنه إله الخلاص[(٢)] ويتمثل الخلاص البوذي للعوام في التالي:

أولا: رفض بوذا كل طرق الخلاص الهندوسي، وأنها لن تصل بالإنسان إلى الخلاص أبدا يقول بوذا: "إن قراءة الفيدا التي هي ملك الكهنة، وتقديم الأضاحي للآلهة، وتنحية الذات عن الحرارة والبرودة إلى غير ذلك، غير كاف للبحث عن الخلود؛ لأن

(١) الأديان القديمة (ص٩٣) بتصرف كبير مرجع سابق، إنجيل بوذا (ص٦٢-٦٣) مرجع سابق.

(٢) تاريخ الأديان (ص٩٢) مرجع سابق.

هذا كله لا يُطهّر المرء الذي لم يتحرر من أفكاره الخاطئة بعد"[١].

إذا رفض بوذا قراءة الفيدا، ورفض تقديم الأضاحي للآلهة طرقًا للخلاص، وطوّر بوذا المفاهيم العقدية التي ورثها عن الهندوسية من ذلك.

١ – عقيدة التناسخ فقد رفضها بوذا بالمفهوم الهندوسي واعتقد أنها أم الخبائث، وأس المشكلات، والآلام والويلات، ولذلك حاربها بكل الوسائل في تعاليمه، وبهذا تكون دعوته ثورة على الكهنوتية الآرية والسيطرة الطبقية"[٢] وقد استبدل بعقيدة التناسخ عقيدة الولادة المتكررة التي تسمى "سماسارا"[٣] وتعني عند بوذا: "بأن تستمر العناصر المادية للبدن في كيان كائنات شتي لأنهم لا يعتقدون في الروح أصلا ولا يعتقدون في تجمع نفس العناصر الموجودة في بدن بعد موته في كائن آخر مرة أخرى بل عقيدتهم أن تكون هذه العناصر في ضمن كائنات أخرى"[٤]، وتتكرر الولادة في الأرض على الإنسان مالم يسعد بالنيرفانا"[٥].

يقول بوذا: "كل جمال باطل، وكل ما في العالم يتغير ويتحول فالكل هو سمسارا"[٦] وأنت ترى أن مفهوم الولادة المتكررة يغاير تمامًا مفهوم التناسخ الهندوسي؛ لأن بوذا ينظر إلى النفس الإنسانية على أنها وهم "وذلك لأن تحليل أي شخص يكشف عن وجود أنشطة بدنية، أو عضوية، أو أنشطة الإحساس والإدراك والدوافع إلى

---

(١) إنجيل بودا (ص٩٣) دراسة د/منذر الحايك دار صفحات ط١/٢٠٢٠م.

(٢) الهند القديمة حضارتها وديانتها (١٤٨)مرجع سابق.

(٣) سماسارا: كلمة سنسكريتية تعني التبدل والتغير وهى تعبر عن الولادات المتكررة أو دوران الروح" " في البوذية تعني: الدورة اللانهائية للولادة والموت، وإعادة الميلاد التي تخضع لها كل الكائنات الحية. تصور (سماسارا) بلا بداية أو نهاية محسوسة ويتم تجاوز سامسارا عن طريق النيرفانا" ينظر إنجيل بوذا (ص٤٩) مرجع سابق وينظر معجم الأديان العالمية (٤٧٥/١) بتصرف كبير

(٤) نزعة الزهد (ص١٢٤– ١٢٥) مرجع سابق

(٥) المرجع السابق (ص ١٢٤)

(٦) إنجيل بوذا (ص٤٩) مرجع سابق

الحركة، وأنشطة الوعى، وبخلاف هذه الأنشطة لا يوجد شيء، والرغبة الملحة والتوق الجاهل هو الذي خلق وَهمَ النفس وأساس المعاناة هو التوق لهذه النفس الوهمية، ويسميه البوذا بالتوق الأناني الذي يجب إخماده لتنتهي المعاناة"(١). فبوذا كما هو واضح " لا يعتقد وجود الروح على حدة منفصلة، دون التصاقها وارتباطها بالجسد"(٢)، ومن ثم فإنه يفسر الروح بأنه النشاط الصادر من الجسد ولا شيء وراء ذلك.

"والحياة في البوذية ليست مقدمة، أو إعدادًا لحياة الخلود، وإنما هي نظام أو نسق للسيطرة على تعامل الإنسان مع الظروف الحالية (هنا والآن) والتي لو حدثت ونفذها بإتقان فإنه سيؤدي بالتأكيد لما هو أفضل وإتقان التحكم في الظروف الحالية هو أسمى درجات الصلاح"(٣).

ولذا فإن علماء البوذية مختلفون في وقت الجزاء على العمل فمنهم من يقول إن الجزاء على العمل في الحياة الحاضرة فقط، ومنهم من يقول إن جزاء الأعمال حسب قانون كارما البوذي يتجاوز الحياة التي وقعت فيها الأعمال إلى حياة أخرى في الولادات المتكررة(٤). وتناسخ الأعضاء الذي ذهب إليه بوذا يحدده الكارما يقول بوذا: " بسبب كارما تختلف الحيوانات في أشكالها وطبائعها، وكارما الطيبة يجب أن تأتي بثمرة طيبة، كالزارع يحصد ما زرعه، وهذا هو قانون كارما وهو يسير في دقة لا حد له في ارتباطه بقانون التناسخ. إن الإنسان لا يجني الثمار في الحياة القادمة إلا وفق البذور التي بذرها في الحياة الراهنة ، وحينما يبعث من جديد، لا مانع من أن يتحول إلى ملائكة، أو إنسان عظيم، أو خادم، أو غني، أو فقير، أو كلب، أو منبوذ، على حسب عمله كارما(٥)" إذا

---

(١) تاريخ الأديان (ص٨٤) مرجع سابق

(٢) المرجع السابق (ص ١٤٩)

(٣) موسوعة الأديان الحية (١٣٨/٢) مرجع سابق

(٤) ينظر: نزعة الزهد (ص ١٢٤) وما بعدها مرجع سابق

(٥) البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها د/ عبدالله مصطفي نومسوك (ص ١٨٩) أضواء السلف ط١/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الكارما هو المتحكم في عملية التناسخ التي هي عند بوذا تناسخ للأعضاء وليس للأرواح.

٢ – ومن ذلك أيضا عقيدة النيرفانا[١] التي تترادف مع عقيدة الانطلاق الهندوسي أي: انطلاق الروح حتي يتحد مع براهمن، حيث قام بوذا بتطوير هذا المفهوم وسماه النيرفانا التي تعني عنده: "الانطفاء ومفهومه البوذي حالة سامية يسعد بها المرء إذا فهم الحقائق الأربع النبيلة، واتبع طريق الشعب الثماني، وخصوصية هذه الحالة هي السيطرة التامة على الأهواء ...، ولما علم بوذا أن الأهواء والشهوات نيران تلتهب في المرء وضع لحالة التخلص منها اسم النيرفانا ليدل على انطفاء نار الشهوات"[٢] وهذا يعني: أن البوذي المسيطر على شهواته يصل إلى النيرفانا في الدنيا حيث إن السيطرة على الشهوات تكون في الدنيا فقط. فما الذي يحدث بعد الموت ؟ يفرق كبار البوذيين بين النيرفانا التي تعني السيطرة على الشهوات في الدنيا وتعني بعد الموت " نوعًا من البرودة بعد الموت، أي: لا حياة ولا موت، ولا بعث ولا نشور، ولا ثواب ولا عقاب، وفي نفس الوقت لا عدم ولا فناء؛ ولكن هذه الحالة في نفس الوقت تكون عظيمة وعميقة وغير محدودة، مثلها مثل البحار عميقة الأغوار"[٣] وبين البارينيرفانا التي تعني: "حالة من تفتت الجسم، وتوقف الإدراك، وانقطاع الأنشطة، وموت الحواس، وفوت الوعي، فهو يدل على الانقراض التام"[٤]، وأنت ترى أن درجة النيرفانا تقف في برزخ بين الحياة والموت، والوجود والعدم، أما درجة البارينيرفانا فهي العدم المطلق والفناء المحقق الذي سلكوا في سبيل الوصول إليه أوعر الطرق، وأحفلها بالمعوقات، حرموا النفس من طبيات الحياة الدنيا، وأهانوا البدن الذي خلقه الله في أحسن تقويم؛ ليصلوا إلى وهم ولكي يدركوا

---

(١) " كلمة سنسكريتية مكونة من مقطعين "نر" ويعني الانتهاء والانعدام ، و"فانا" أي الشهوة فمعنى نيرفانا انتهاء الشهوة ، أو انعدامها، وقيل إن معناها الخمود أي خمود الشهوات" ينظر: مجموعة المصطلحات البوذية(ص٢٤٦) نقلا عن المرجع السابق (ص٢٥٠)

(٢) نزعة الزهد (ص١٢٧) مرجع سابق

(٣) الهند القديمة حضارتها وديانتها (ص١٤٩) مرجع سابق

(٤) نزعة الزهد (ص١٢٨) مرجع سابق

سرابًا بقيعة يحسبه الظمأن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا؛ ولذا يقرر بوذا أن النيرفانا" حالة غير دنيوية فالسبيل الوحيد لعلم حقيقتها هو الوصول إليها![1] وكيف يصلون إلى العدم باعترافهم يقول بوذا "مبارك هو الذي يجد سلام النيرفانا فهو في طمأنينة من اضطرابات الحياة، هو فوق كل تغير فوق الولادة والموت، إنه يبقى غير متأثر بشرور الحياة . مبارك هو الذي يمتزج بالحقيقة، ويرغب في السلام الحقيقة هي بوذا وبوذا هو الحقيقة"[2]. فأي: حقيقة في المجهول الذي وعدهم به، وفي الخرافة التي سيطرت على عقول عدة ملايين من البشر[3]؟! ومع هذا كله فإن بوذا "يعتقد أن قليلين جدًا هم الذين يبلغون النيرفانا في جهادهم الأخلاقي"[4].

ثانيًا: حدد بوذا المعوقات التي تحول بين الإنسانية وبين خلاصها وهذه المعوقات على النحو التالي:

١ – "الوهم الخادع في وجود النفس. ٢ – الشك في بوذا وتعاليمه.
٣ – الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية.
٤ – الشهوة. ٥ – الكراهية.
٦ – الغرور. ٧ – الرغبة في البقاء المادي.
٨ – الكبرياء. ٩ – الاعتداد بالبر الذاتي.
١٠ – الجهل"[5].

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) إنجيل بوذا (٥٤-٥٥) مرجع سابق

(٣) " الديانة البوذية منتشرة بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية حيث يدين بها أكثر من ستمائة مليون نسمة "ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي(٧٦٢/٢) إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط٤/ ١٤٢٠ هـ

(٤) أديان العالم الكبرى(ص١٥) مرجع سابق

(٥) أديان الهند الكبرى(ص١٥٨) مرجع سابق

وهذه المعوقات العشرة يمكن تجاوزها و القضاء عليها بالحقائق الأربع النبيلة ذات الشعب الثماني

ثالثًا: أسس بوذا مذهبه في خلاص العوام (الخلاص الجماعي) على ما يسمى (بالحقائق الأربع النبيلة)، وهذه الحقائق الأربع كالتالي:

١ – " الحياة كلها هم وحزن

٢ – الشهوة هي التي تؤدي بالحياة إلى هم وحزن

٣ – بقمع الشهوة يمكن التخلص من الهم والحزن

٤ – من الممكن التغلب على الشهوة باتباع طريق الشعب الثماني"[١].

يقول بوذا في إنجيله في فصل الاستنارة: "إن العالم يغص بالخطيئة والحزن؛ لأنه مملوء ضلالًا، والناس فيه يتيهون، ولا يفكرون بغرورهم، ويزعمون أن الضلال خير من الحقيقة فيتركونها، ساعين وراء حب الذات التي تصل بهم إلى التعاسة والشقاء والاضطراب"[٢].

ويقول بوذا أيضًا: "إن الرجل المستنير رأي الحقائق النبيلة الأربع وهى التي تضع قدمه على طريق النيرفانا أو موت الذات"[٣].

ومهما يكن من شيء فإن التغلب على الشهوات يكون باتباع طريق ذي ثمان شعب حتى يصل السالك إلى درجة الخلاص وهذه الشعب الثمانية كالتالي:

١ – الاعتقاد الصحيح ويقصد به: "الإيمان بالحقائق الأربع النبيلة فعلى المرء أن يعتقد وأن يعترف بوجود الهم والحزن في الحياة، وبأن له سببًا يمكن إزالته باتباع الطرق الثماني، وأنه إذا ما تمت إزالته يتخلص من الهم والحزن"[٤] وأنت ترى أن

---

(١) نزعة الزهد بين البوذية والتصوف الإسلامي (ص١١٨-١١٩) مرجع سابق

(٢) إنجيل بوذا(ص٨٢) مرجع سابق

(٣) المرجع السابق (ص ٨٣)

(٤) نزعة الزهد بين البوذية والتصوف الإسلامي (ص١١٩) مرجع سابق

الخلاص البوذي يتمحور في إزالة الهم والحزن في الحياة الدنيا أما الآخرة فلا صلة له بها.

٢ – "الغرض الصحيح وهو نتاج البصيرة الصحيحة"[١]، أو كما يقول بوذا "النتيجة التي تعقب الطمأنينة"[٢]، فعلى مريد الخلاص البوذي "أن يرجو حياة الأخوة والمودة مع الجميع فيتنازل لمصلحة غرضه عما يستحق ويعمل لمصلحة الجميع"[٣] وهذا كله في الدنيا بطبيعة الحال.

٣ – القول الصحيح. ٤ – والعمل الصحيح.

٥ – والعيش الصحيح"[٤] ويعنى بوذا بهذه الشعب الثلاثة: "الكلام الحق، والأعمال الصالحة، والطريق السوي لكسب العيش"[٥].

٦ – الجهد الصحيح. ٧ – الفكر الصحيح.

٨ – التأمل الصحيح[٦].

ويعني بوذا بهذه الشعب الثلاثة أيضًا: " الجهد الحسن في الخير، والأفكار الصالحة، وسلامة الضمير[٧]".

وأنت ترى أن بوذا يرنو من هذه الشعب الثلاثة أن تكون المجاهدة في فعل الخير مؤسسة على فكر صحيح، ولن يكون الفكر صحيحًا إلا إذا كان نتاجًا لعقل سليم عنده القدرة على التأمل، وضمير حي يشعر بمعاناة الآخرين، ويمكن تركيز هذه الشعب الثمان في ثلاثة "هي الحكمة وتشمل الاعتقاد الصحيح والغرض الصحيح، والأخلاق وتشمل

---

(١) المرجع السابق (ص١٢٠)

(٢) إنجيل بوذا (٨٤) مرجع سابق

(٣) نزعة الزهد (ص١٢٠) مرجع سابق

(٤) نزعة الزهد (ص١١٩) مرجع سابق وينظر أيضا أديان الهند الكبرى (ص١٥٦) مرجع سابق

(٥) إنجيل بوذا (ص٨٤) مرجع سابق

(٦) نزعة الزهد (ص١١٩) مرجع سابق

(٧) إنجيل بوذا (ص٨٥) مرجع سابق

القول الصحيح، والعمل الصحيح، والعيش الصحيح، والجهد الصحيح، والتأمل ويشمل الفكر الصحيح والتأمل الصحيح[١].

يقول بوذا في شعبه الثمانية مجتمعة: " هذه هي الحقيقة فهذا هو الدين، والرجل المستنير ينشد هكذا: لقد طال تجوالي لقد طال، وأنا مقيد بسلسلة من الرغبات، وتعدد الولادات، وأنا أفتش عبثًا وألتذ بالباطل، متى تميمن الطمأنينة على الإنسان ؟ متى يتخلى عن مطامعه وأنانيته؟ متى نتخلص من الألم وننجو من الولادة ؟ لقد جاء وقت الراحة ...، فعليّ أن أحطم قيود الخطيئة، وأكسر جسر الآلام وأجوز بعقلي إلى النيرفانا، وها أنا ذا وصلت إلى ما أتوق إليه وافرحتاه"[٢].

وقد دخل بوذا النيرفانا ٤٨٠ق .م أو ٤٥٣ق.م! وقد تم احتفال البوذيين في ١٩٥٦م بمرور ٢٥٠٠ عام على تحقيق البوذا للنيرفانا! " [٣] وهذا كله سيتم على الأرض يقول بوذا " لقد اقتبلت الخلاص بنكران الذات، وقهرت جسدي، وحررت عقلي من كل رغبة دنيوية وحلَّت الحقيقة الكلية في جمع قلبي فاحتويت "النيرفانا" والآن أرغب في أن أوجد ملكوت البر على الأرض، فأعطى النور للسالكين في الظلمة وأفتح باب الخلود للناس أجمع[٤].

هذا هو خلاص العوام أو الخلاص الجماعي الذي لا ينجو فيه الإنسان وحده ولكن ينجو مع الآخرين؛ لأن الكائن المؤهل للدخول في النيرفانا بسبب فضائله من رحمة، ومحبة، وكرم، وخلق قويم، وصبر، ونشاط، وتركيز، وحكمة، وبسبب أفعاله الماضية الصالحة، لكنه يستمر مع ذلك في عالم الوجود الارتحالي، في سبيل إنقاذ الآخرين إنه يشفق عليهم، ويرضى بالألم في سبيل خلاصهم، ويضحي بنفسه في سبيل مساعدة

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب(ص٢٦٤) وما بعدها مرجع سابق

(٢) إنجيل بوذا (ص٨٥) مرجع سابق

(٣) تاريخ الأديان (ص٨١) مرجع سابق

(٤) إنجيل بوذا (ص٩٢) مرجع سابق

الكائنات الواعية على التنور[١].

ومع أن الطريقين مأثوران عن بوذا فقد أخذت بوذية المهايانا بهذه الطريق، فوجهت عنايتها إلى تمكين الجميع من الحصول على المعرفة المؤدية إلى الخلاص والنيرفانا، بالإضافة إلى الاهتمام بالتبشير وتحويل البوذية إلى ديانة عالمية[٢]، فرسمت الطقوس وأقامت التماثيل وجعلوا من بوذا إلها للخلاص وبهذا تحول الخلاص من حالة إلى أن يتجسد في شخص وقدسوا أكثر من بوذا ورفضوا نظام الرهبنة البوذي[٣].

الثانية: طريقة الخواص ورجال الدين في الوصول إلى (الخلاص الفردي)

إذا كانت الحقائق الأربع البوذية بشعبها الثمان هي جوهر الخلاص الجماعي عند بوذا، فإن ناموس العلة والمعلول(قانون النشأة المستندة – براتيتيا ساموتبادا) [٤] هو جوهر جانب الخلاص الفردي عند بوذا ويتلخص هذا الناموس في أن الكون في نظر بوذا "وحدة متصلة متماسكة، ومجموعة مركبة لا انفصام بين أجزائها، وهو مركب من مجموعة هائلة من العناصر المختلفة لا تزيد ولا تنقص، بل يعاد توزيعها باستمرار، ويعاد ترتيبها ووضعها بحكم الناموس الخاضعة له، وكل مجموعة جديدة إن هي إلا علة نشأت عن المجموعة التي تقدمتها؛ ولكن غوتاما لم يقل شيئا عن تلك (العلة الأولى) الذي يدير دفة هذا الكون، ومحظور على البوذي التقي أن يبحث هذا"[٥]، وأنت تري أن هذا تصور إلحادي للكون فلم يذكر لنا بوذا من الذي خلق هذه العناصر؟ ومن الذي ركبها؟ ومن الذي يمنعها من الزيادة والنقصان؟ ومن الذي يعيد توزيعها؟ لقد سكت عن هذا كله وهذا يؤيد وجهة النظر القائلة بأن بوذا كان حائرًا بين الإلحاد واللاأدرية ومهما

(١) أديان العالم (ص١٩٩) مرجع سابق
(٢) تاريخ الأديان (ص٩١-٩٢) مرجع سابق
(٣) ينظر: المرجع السابق نفس الصفحة
(٤) نزعة الزهد (ص١٢٠) مرجع سابق
(٥) أديان العالم الكبرى (ص١٢) مرجع سابق

يكن من شيء فقد" كانت الصلة بين هذه الفكرة عن العالم وبين طبيعة الإنسان في غاية الخطورة؛ فللإنسان فضلا عن كيانه الجسماني خواص عدة هي المشاعر والأحاسيس، والآراء والميول والقوي العقلية تكوّن ما نسميه النفس أو الذات...، وغوتاما لم يسلم بوجود الذات كشخصية موحدة. ولم ير إلا تلك الخواص أو الصفات الخاضعة لناموس العلة والمعلول، وهذه الخواص توزع من جديد عند الموت"[١].

ومما سبق يتضح جليًا أن بوذا استبدل بعقيدة تناسخ الأرواح أو بتجوال الروح عقيدة تناسخ الأعضاء والعناصر الإنسانية أو تجوال الأعضاء والعناصر الإنسانية في كائنات أخرى "فالعناصر التي يتكون منها الإنسان مصيرها عند الموت في رأي (غوتاما) التفكك والتجمع في وجود جديد في مجموعة جديدة"[٢]، وسيرًا على ناموس التناسخ أو الولادة المتكررة الخاضعة لقانون الكارما، فإن الذي عمل صالحًا ستولد أعضاؤه وعناصره في جسد شريف يؤمن بالمعلم بوذا، وأن الذي عمل طالحًا فإن أعضاءه وعناصره ستولد في جسد خسيس وضيع وسيحصل له الشقاء والمعاناة جزاءً وفاقًا على ما قدم من شرور وآثام وهكذا دواليك إلى غير نهاية، ومن ثم فإنه "وفقا لنظرية الكرما فإن الفقراء والمعوقين والمرضى يدفعون الثمن للأعمال الشريرة التي ارتكبوها في حياة سابقة، وبالتالي فإنهم يستحقون سوء حظهم الحالي، وقد أدى هذا الفهم الفاسد لانتشار الظلم في المجتمعات التي ينتشر فيها الاعتقاد في الكارما"[٣]؛ لأن بوذا لم يقل لنا متى بدأت الحياة ومتى تنتهي، وبالتالي فالمانع أن يكون المنعَّمون في هذا الحياة يجنون ثمار أعمالهم الصالحة في حيوات سابقات؟ وما المانع أيضا أن يكون المعذبون معاقبين بما اقترفوه من أعمال سيئة في حيوات سابقات؟ "فالتفاعل بين سلوك فرد وفرد آخر مرتبط بماضيهما ومستقبلهما بقدر ارتباطه بحاضرهما، فإذا تسببت أفعال شخص في معاناة

(١) المرجع السابق (ص١٢-١٣).

(٢) المرجع السابق (ص١٣)

(٣) الإسلام والبوذية هارون يحيى (ص٨٤) دار الفبس ط١/١٤٤٢هـ/٢٠١١م

آخر، كان يمكن تفسير ذلك بأنه حكم على الشخص الذي يعاني؛ لأنه فشل في اتباع السلوك القويم في حلقة سابقة من حلقات التجسد، أما الشخص الذي تسبب في المعاناة على الجانب الآخر فقد يكون عليه دفع الثمن في تجسد مستقبلي"[١].

وهكذا يوغل بوذا التيه، و يضرب ضرب عمياء، ويخبط خبط عشواء، وبهذا تكون فلسفة بوذا في الخلاص قد جمعت في جوفها كل قاذورات الملاحدة، وسفالات الدهريين، وأوهام الحمقى والمغفلين.

وعلى أية حال فإن "العناصر المكوّنة للإنسان ينبغي أن تخضع للناموس العام في الكون ويتولد عن هذا الخضوع تناسق في المجموعة كلها، غير أن الأماني والرغبات في الذات البشرية هي التي تولد التنافر"[٢] وهذه الرغبات "تعمل على إقصاء النفس من الحياة المركزية في الكون وعند الموت تنتج الرغبة التي يكون قد أشبعها، وكذلك الأعمال التي نشأ عنها كائن جديد"[٣] إن بوذا أراد أن يبين القانون الأساس الذي بنى عليه مذهبه، وهو أن لجميع الآلام التي يكابدها المرء ومن جملتها الولادة المتكررة سببًا وهو الشهوة"[٤].

فإذا كانت الشهوة سببًا لجميع الآلام فلا بد من سحقها وإزالتها بالكلية حتى يعود للجسد انسجامه مع ذاته أولًا ، ثم مع بقية أجزاء الكون ثانيًا، فالعلاج الناجح هو نفي الذات وقتل الأنانية ليعيش الإنسان سعيدًا فرحًا في هذه الحياة[٥].

والذات التي يجب أن تُنفى مكونة من خمسة أشياء هي "الصورة البدنية، والإحساس، والإدراك الحسي، والإرادة، والوعي" [٦] يقول بوذا: "إن فكرك بالذات (أنا) يقف

---

(١) قصة الجنس عبر التاريخ رى تانا هيل (١٩٢) دار ميريت ط٢/٢٠١٤م

(٢) المرجع السابق (ص١٤)

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

(٤) نزعة الزهد (ص١٢١) مرجع سابق

(٥) ينظر: الهند القديمة حضارتها وديانتها (ص١٤٦) مرجع سابق

(٦) المعتقدات الدينية (ص٢٦٧-٢٦٨) مرجع سابق

حاجزًا بينك وبين الحقيقة أنكر ذاتك تتجلى لك الحقائق على علاتها، إن من يفكر بالصواب ينفي عنه الجهالة ويطلب الحكمة إن فكرة (أنا) أو سأكون أو لن أكون لا تجعلك مفكرًا حسنًا، وكلما تأصلت الأنانية فيك ابتعدت عن الحقيقة والخلاص"[١]. ولذا فإن بوذا ابتدع أنظمة أخلاقية وتأملية ليبدد بها ما سماه وهم الذات وهذه الأنظمة تتمثل في الرهبنة[٢] البوذية فإذا ما أراد أحدهم أن يدخل نظام الرهبنة البوذي عليه أن يقوم بالتالي:

أولًا: أن يعتقد بالملاجيء الثلاثة "إني ألتجيء إلى بوذا، إني ألتجيء إلى دراما أي تعاليم بوذا، إني ألتجيء سانغًا أي: الجماعة البوذية"[٣]. يقول بوذا "إلى بوذا يجب أن أنظر بإيمان؛ لأنه الشخص الكامل والمقدس إن بوذا عرفنا الحكمة والخلاص...، إلى العقيدة يجب أن ننظر بإيمان، إلى الجماعة يجب أن ننظر بإيمان"[٤].

ثانيًا: الالتزام بالوصايا العشر البوذية

١ – يجب ألا تقضى على حياة

٢ – يجب ألا تأخذ ما يعطي إليك.

٣ – يجب ألا تقول ما هو غير صحيح.

٤ – يجب ألا تستعمل شرابا مسكرا.

٥ – يجب ألا تباشر علاقة جنسية محرمة.

٦ – يجب ألا تأكل في الليل طعامًا نضج في غير أوانه.

---

(١) إنجيل بوذا (ص٧٤) مرجع سابق

(٢) حركة دينية مؤسساتية تقيد أعضاءها بالتعهد أن يعيشوا حياة تنسكية تقشفية مكرسة للصلاة والتأمل، أو أعمال الخير، أعضاء هذه التنظيمات الرهبانية الرهبان، عزاب عادة، ويعيشون منعزلين عن المجتمع إما في مجتمع الراهبان أو مجتمع الراهبات أو معتكفين دينيين" معجم الأديان العالمية (١/٤٤٠)

(٣) نزعة الزهد (ص١٢٨) بتصرف يسير مرجع سابق

(٤) إنجيل بوذا (ص٩٨) مرجع سابق

٧ – يجب ألا تكلل رأسك بالزهر، وألا تستعمل العطور.

٨ – يجب ألا تقتني المقاعد، والمساند الضخمة.

٩ – يجب ألا تحضر حفلة رقص، أو غناء.

١٠ – يجب ألا تقتني ذهبا، أو فضة"[١].

ثالثًا: الالتزام بالقواعد الأساسية للرهبنة التي تتمثل "في ارتداء الأصفر، واتخاذ الرأس الحليق، وحمل قصعة التسول، وعادة التأمل اليومي"[٢] هذه هي القواعد التي يجب الالتزام بها في حياة الرهبنة "التي تبدأ بهجر المترل وبداية التجوال كما فعل البوذا وتبدأ هذه الحياة في سن الخامسة عشرة، ويعيش الرهبان غاية في البساطة، ويقضون معظم وقتهم في التأمل، ولا يملك الراهب شيئا سوي الروب الذي يلبسه، والوعاء الذي يشحذ فيه طعامه، ومسبحة بها مائة وثمان حبة بعدد صفات البوذا وبها يتأمل، ويملك موسى لحلاقة الرأس، وفلترا لإبعاد الحشرات من الماء الذي يشربه حتى لا يؤذي أي شيء حي، ويعيش معظم الرهبان في حالة عزوبية بدون زواج، وقد سُمح بإقامة نظام رهبنة للراهبات، ويعتبر نظام الرهبنة البوذي من أقدم نظم الرهبنة في العالم فعمره يزيد على ألفي وخمسمائة عام تقريبًا"[٣] وقد قبل بوذا النساء في سلك الراهبات بعد لأي ورفض لعدة مرات جاء في إنجيل بوذا" ولما رأى المبارك غيرتهن وشوقهن إلى الحقيقة لم ير ما يمنعه عن قبولهن تلميذات"[٤].

ومهما يكن من شيء فإن الالتزام الصارم بنظام الرهبنة البوذي يجعل الراهب يتخطى الأطوار الأربعة حتي يصل إلى النيرفانا وهذه الأطوار الأربعة كالتالي:

الطور الأول: "هو الإحياء والتجديد حين يدرك الإنسان معنى الحقائق الأربع

---

(١) أديان الهند الكبرى (ص١٦٠) مرجع سابق

(٢) موسوعة تاريخ الأديان فراس السواح (١٨٨/٤) دار التكوين ط٢٠١٧/٤م

(٣) تاريخ الأديان (ص٩٠-٩١) مرجع سابق

(٤) إنجيل بوذا (ص١٣٦) مرجع سابق

المشهورة، ويقوي على كسر قيود الوهم الخادع في وجود النفس، والشك في بوذا وتعاليمه، والاعتقاد في تأثير الطقوس والرسوم الدينية.

الطور الثاني: يقوي المهتدي على التخفيف من حدة الشهوة والكراهية وغرور الأوهام.

الطور الثالث: يحطم المهتدي قيود الشهوة تحطيمًا.

الطور الرابع: يتحرر القديس من قيود الرغبة في البقاء المادي وغير المادي، والكبرياء، والاعتداد بالبر الذاتي، والجهل"[١]، وبالوصول إلى الطور الرابع يدخل الراهب إلى النيرفانا وبهذا يتحقق له الخلاص، وقد أخذ بهذه الطريق بوذية الهنايانا (الوسيلة الصغرى) "فقد تميزت بمظهر الديانة الروحية الشخصية المهتمة بالعمليات الروحية دون بناء عقدي منظم، ودون نظام ديني مقدس فالتركيز فيها على الخلاص الشخصي[٢].

ومهما يكن من شيء فإن الخلاص البوذي بشقيه الجماعي والفردي على ما فيه من بعض الإيجابيات من عمل الصالحات، والبر بالآخرين لا يصلح لا للدنيا ولا للآخرة؛ لأن القضاء على الشهوة لن يتم إلا بالقضاء على الإنسان نفسه وهذا ما حدث مع بوذا نفسه، فإذا مات الإنسان مع شهوته ذهب إلى وهم اسمه النيرفانا وهو حالة عدمية لا معنى لها، وبهذا يكون الإنسان في البوذية قد خسر الدنيا بذهابه منها دون التمتع بطيباتها وخسر الآخرة حيث يفجع بالحقيقة الكبرى بين يدي الله رب العالمين "إن البوذية رد فعل عكسي لنحلة الهندوسية التي أحدثت اضطرابًا شديدًا في نفوس الأفراد والجماعات فلم يجدوا للخلاص منها إلا هذا التيه الذي تلذذوا بسكرة الضياع فيه، وتوهموا أنهم خلصوا، وأنهم على شيء من الدين"[٣].

---

(١) أديان العالم الكبرى (ص١٠-١١) مرجع سابق

(٢) تاريخ الأديان (ص٩٢) بتصرف مرجع سابق

(٣) آلهة في الأسواق (ص١٤٩) مرجع سابق

إن الإسلام دعا إلى ضبط الشهوات لا إلى كبتها قال- تعالى-: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤].

يقول الشيخ محمد محمود حجازي: "وهذه الأصناف المذكورة قد زين الله حبها للناس وغرسه في قلوبهم حتى صار غريزة عندهم...، ولقد عبر القرآن عن هذه الأشياء بالشهوة مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبًا فيها وإيذانًا بشدة تعلق الناس بها، وللإشارة إلى أن حبها من طبيعة الإنسان الحيوانية، فإن الشهوة من صفات البهائم حتى يعتدل الإنسان في حبه لها، إن الإسلام دين ودولة، وعمل واعتقاد، واعتدال وتوسط ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فليس ديننا دين رهبنة وتقشف وزهد يفهم بعض الناس .... فليس ممنوعًا حب هذه الأصناف ولكن الممنوع المبالغة والإسراف فيها حتى تطغى على الناحية الدينية ومظاهرها"[(١)] أما البوذية فقد أسرفت في الزهد حتى قتلت الناس باسم الخلاص.

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي (٢١٢/١) دار الجيل الجديد – بيروت ط١٠ – ١٤١٣ هـ وللمزيد للرد على عقائد البوذية ينظر الإسلام والبوذية هارون يحيى دار القدس ط١١٤٣٢هـ٢٠١١م

المبحث الثالث

الخلاص في الديانة الجينية

الجينية إحدى ديانات الهند الكبرى، شأنها شأن البوذية نشأت مناهضة للديانة الهندوسية، وربما كانت الجينية هى الديانة المارقة الوحيدة عن الهندوسية التي ظلت باقية في الهند حتى يوم الناس هذا، بينما طُمست معالم البوذية من الأرض الأم، رغم انتشارها المدهش خارج الهند[١] هذه الديانة التي تمثل الآن أقلية في المجتمع الهندي إذ لا يتجاوز أتباعها أربعة ملايين من البشر[٢]، ومازالت تنازع من أجل البقاء[٣] تنسب إلى حكيم هندي يسمى (بارشونات) ولد في مدينة بنارس بالهند ظهر هذا الحكيم الهندي في القرن التاسع قبل الميلاد وأسس بنيانها، ووضع لهذه الديانة أصولا رئيسة تقوم على البعد في الدنيا عن جميع أنواع المتع والملذات ودامت هذه الفلسفة حتى ظهر المبشر الجيني المشهور (مهاويرا) الذي أعلن الثورة علي الطبقية الهندوسية[٤] واسمه الحقيقي (فارذامانا) التي تعني البطل العظيم، والجينية نسبة إلى جينا التي هي صفة لا علَم ومعناها القاهر أو الغالب[٥].

ولد مهاويرا المؤسس الحقيقي للجينية سنة ٥٩٩ق.م وهو الابن الثاني لوالديه عاش حياته الأولى في كنف والديه متمتعا بالخدم والملذات وتزوج ورزق بابنة[٦]. [٧]

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص٢٢١) بتصرف كبير مرجع سابق.

(٢) بلغ أتباع الجينية في بداية القرن الحادي والعشرين زهاء ٤و٥ مليون تابع ينظر: معجم الأديان العالمية (٣٤٩/١)

(٣) ينظر المرجع السابق نفس الصفحة

(٤) بوذا الأكبر حامد عبد القادر(ص٢٦) نقلا عن العقل في نظر الأديان الوضعية د/ محمد عبد الهادي إمام (٦٤)

(٥) الديانات والعقائد في مختلف العصور(ص١٠٦-١٠٧) مرجع سابق

(٦) الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (١٤٩/١) مرجع سابق

ولكن المنعطف الخطير في حياة مهاويرا، الطريقة التي مات بها أبواه، حيث أزهق الوالدن روحيهما بجوع متعمد، وكان مهاويرًا قد بلغ سن الحادية والثلاثين[١] وقد أقدم أبواه على هذا الفعل؛ لأنهما كانا يعتقدان عقيدة تحبب الانتحار وتؤثره على الحياة، والانتحار فيها نعمة لا تساويها الحياة لأن العودة إليها لعنة من اللعنات[٢]، وعلى أية حال فإن هذه الحادثة، قد تركت أثرها العميق في حياة مهاويرا، فلفظ الحياة الدنيا على الجملة، وجعل من انتحار والديه منهجا للخلاص من ويلات هذه الحياة، فقد كان تخليه عن الدنيا تخليًا كاملًا فخلع ثيابه حتى الإزار الذي يستر عورته، وراح يتجول عاريًا تمامًا، وظل اثنتي عشرة سنة كاملة في تأمل وصمت يمارس أشد ألوان الرياضة خشونة وقسوة؛ لكي يبلغ مرتبة الجينا أي: المنتصر، وفي السنة الثالثة عشرة وبعد صيام طويل وصل إلى أفضل معرفة، وأرفع حدس يسمى كيفا[٣]. وظل مهاويرا يدعو إلى الناس إلى عقيدته بصبر وجلد حتى بلغ الثانية والسبعين إلى أن ألقى عصا التسيار، واخترمته المنية وحيدا في سنة ٥٢٧ق.م[٤]، ولم تستمر الجينية فرقة واحدة بعد مهاويرا فقد انقسمت إلى فرقتين:

الأولى: دجاميبرا "أي: لابسي السماء (العراة) فقد نذرت هذه الفرقة العرى الكامل علامة على التخلى الكامل أسوة بمهاويرا على أساس أن العري ضروري للراهب الجيني عند هذه الفرقة"[٥].

الثانية: شقيتمبرا أي: أصحاب الزي الأبيض وترى هذه الفرقة أن التحاف السماء أمرى شخصى، وأن ارتداء الملابس مسموح به[٦]، وقد انقسمت الفرقتان

---

(١) ينظر: معتقدات أسيوية د/ كامل سعفان (ص١٩٣) دار الندي ط١/١٤١٩هـ ١٩٩٩م

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور (ص١٠٧) مرجع سابق

(٣) المعتقدات الدينية لدي الشعوب (ص٢٢٣) مرجع سابق

(٤) ينظر: أديان الهند الكبرى(ص١٠٩) مرجع سابق

(٥) المعتقدات الدينية لدى الشعوب(ص٢٢٥) مرجع سابق

(٦) ينظر: المرجع السابق نفس الصفحة

كلتاهما إلى قسمين: قسم يعبد الأصنام ، وقسم يحرمها[١]، ومهما يكن من شيء فإن الجينية شأنها شأن البوذية نشأت مناوئة للهندوسية، وبالتالي فإن الجينية قد رفضت كل العقائد الهندوسية، وتفردت بعقائد تصل بمعتنقيها إلى الخلاص حسب زعمهم، هذه العقائد التي عبر عنها مهاويرا في رسائله وخطبه وسلوكه هي من ناحية ثورة على الهندوسية، ومن ناحية أخرى فإنها تمثل رؤية مهاويرا في الخلاص، ففي الجانب الإلهي أنكرت الجينية وجود إله وآمنت بقدم العالم "فلا يعتقدون في وجود إله أزليّ خالق ومدبر للعالم، فالكون يسير حسب القوانين الطبيعية والأخلاقية الموجودة فيه، وهى قوانين تسير بعليّة الكرما الجزائية"[٢]؛ لأن الخالق الذي لم يخلق، أو السبب الذي لم يسبقه سبب لا يقل صعوبة عن القول بافتراض عالم لم تسبقه أسباب، ولم يخلقه خالق، وإنه لأقرب إلى المنطق السليم أن تعتقد أن الكون كان موجودًا منذ الأزل، وأن تغيراته وأطواره التى لا نهاية لها ترجع إلى قوى كامنة في الطبيعة، بدلًا من تعزو هذا كله إلى صناعة إله"[٣]، وقد سلك مهاويرا هذا المسلك الوعر؛ لأن الاعتراف بالآلهة قد يخلق من جديد طبقة براهمة أو كهنة يكونون صلة بين الناس والآلهة، وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون؛ ومن هنا سمى هذا الدين دين إلحاد"[٤]، ولذا فالجينيون لا يقولون بالصلاة ولا بتقديم القرابين، ولا يعترفون بالطبقات، ولا بما تدعيه الطبقة العليا في النظام الهندوسي وهي طبقة البراهمة من امتيازات ومزايا"[٥]، ولما كان الضمير الإنساني والعقل البشرى لايطمئنان، ولا تلوح لهما علامات السكينة إلا بالإيمان بوجود إله اعتبر الجينيون مهاويرا إلها، بل عدوا الجيناوات الأربعة والعشرين آلهة لهم[٦].

---

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص٦٢٢) مرجع سابق

(٢) تاريخ الأديان (ص١٠٥) مرجع سابق

(٣) معتقدات أسيوية (ص١٩٣) مرجع سابق

(٤) أديان الهند الكبرى (ص١١١) مرجع سابق

(٥) المرجع السابق (ص ١١٢) بتصرف يسير

(٦) المرجع السابق (ص١١١-١١٢) بتصرف يسير

الخلاص الجيني

إن الخلاص الجيني ينبثق من رؤية الجينية للكون، حيث إنها ترى الكون يحتوي على عدد لا نهاية له من الأرواح المغروسة في المادة وهذه الأرواح تتناسخ معظمها في شكل أزلي[١]، والمادة هي الشر بينما الروح هي الخير، وتقدم الروح يتم من خلال هجر المادة بشرها، والصعود إلى عالم الأرواح المتحررة من المادة[٢]، إذا المشكلة التي يجب الخلاص منها هى المادة؛ لأن الروح مادامت تكون محبوسة ومقيدة بأغلال الجسد وسلاسله ولن تصبح في فسحة ولن تتحرر؛ لتنطلق إلى آفاق غير محدودة، ولن يتسع سلطانها، ولن تظهر عبقريتها، ولن يتحقق نبوغها[٣]، وقد مارس مهاويرا رياضات روحية شاقة لمدة اثني عشر عامًا ليصل إلى كيفية تحرير الروح من أسر البدن ومن شهواته ورغباته ومن دوران التناسخ ومن قيود الكارما.

فما الروح عند مهاويرا ؟

إن مهاويرا يعتقد أن للروح وجودًا مستقلًا، وهى خالدة لا تفنى أبدًا، ولا تعترف الجينية بروح واحد لكنها تعترف بوجود أرواح خالدة، وكل روح من الأرواح الخالدة مستقلة عن الأخرى، ويجرى عليها التناسخ[٤]، ويبدو أن مهاويرا كان يرى أن لأرواح الأحياء وزنًا، فعندما تخطيء الروح تصبح ثقيلة وتغوص إلى أسفل؛ فإذا كانت خطيئتها بالغة الضخامة، ظلت تغوص وتغوص حتى تصل إلى الجحيم السابع الرهيب، أما الروح الصالحة النقية فترتفع وترتفع إلى إحدى الجنات الست والعشرين التي ترتفع كل منها فوق الأخرى[٥]، وأنت ترى أن مهاويرا يفسر الروح تفسيرًا ماديًا، فالأرواح لا تتناهي

---

(١) تاريخ الأديان (ص١٠٢) مرجع سابق

(٢) المرجع السابق (ص١٠٦)

(٣) الهند القديمة حضارتها وديانتها(ص ١٤٢) مرجع سابق

(٤) موسوعة أديان العالم (ص١٢٤) مرجع سابق

(٥) قصة الديانات (ص١٤١-١٤٢) مرجع سابق

عنده، وهي تصنف إلى خمسة أقسام تبعًا لعدد ملكات الحس عندها، والعدد الأكبر يتألف من الموجودات غير المرئية التي هى في أدنى درجات الوعي هذا أولا، وثانيًا: الكائنات النباتية، وثالثًا: الحيوانات الدقيقة التي لا تُرى بالعين المجردة، ورابعًا: الحشرات كالنمل والبراغيث، والدبابير والفراشات، وخامسًا: الحيوانات الأعلى والبشر والمجودات السماوية والجهنمية[١]. إذا تفسير مهاويرا للروح تفسيرًا ماديًا لا يختلف عن إنكار بوذا للروح إنكارًا تامًا فالنتيجة واحدة أنه لا يوجد إلا البدن الذي يجب أن يُسحق حتى يصفو الروح. وأين يوجد هذا الروح.؟!

تناسخ الأرواح والكارما

إن الروح بمفهومه السابق يجرى عليه التناسخ وفق قانون الكارما. والكارما عند مهاويرا له وجود حقيقي، وليس أمرا عتباريًا " فقد كانت الكارما مسألة معنوية في الهندوسية – أي: اعتبارية وكذا في البوذية– فهى تعنى: قانون الجزاء، فلا أحد يهرب من جزاء أعماله الذي يكون بالتناسخ أو تجوال الروح في دورات مستمرة من جسد إلى جسد أما الجينية فقد حولت الكارما إلى كائن مادي يخالط الروح كأنه يمسك به، أو يحيط به كما تحيط الشرنقة بالفراشة، ولا سبيل إلى تحرير الروح إلا بشدة التقشف والحرمان[٢]، والكارما عند الجنيّين لها أكثر من نوع فعندهم كارما المعرفة التي تعمل على غموض المعرفة، وكارما الرحمة والإشفاق التي تنتج المشاعر السارة وغير السارة، وكارما الإيمان التي تسبب عدم الإيمان بالطبيعة والواقع، وكارما السلوك التي تحدث نقصًا في مقاومة الأفعال الشريرة، وكارما العمر التي تحدد الأجل والعمر، ومعنى هذا أن الإنسان سيستمر شقاؤه مادام على قيد الحياة، وكارما الوضع الاجتماعي التي تحدد الرتبة الاجتماعية من حيث الرفعة والاتضاع، فمدح الذات وذم الغير تحدده هذه

(١) المعتقدات الدينية لدي الشعوب (ص٢٢٨) بتصرف كبير مرجع سابق

(٢) المرجع السابق (ص٢٢٨) والكلام للمترجم الدكتور إمام عبد الفتاح إمام

الكارما، وكارما التعويق التي تقف حجر عثرة في طريق نجاح أي مشروع[١].

ومهما يكن من شيء فإن الروح عند مهاويرا له ثقل، والكارما كائن مادي يشبه السوار الذي يحيط بالمعصم، إذا الروح والكارما أمران ماديان فكيف يتخلص الروح من أسر التناسخ الذي لا ينتهي ومن أسر الكارما الذي يأخذ بتلابيبه، ويضيق عليه الخناق فلا يجد منه فكاكا، وكيف يصل إلى النجاة ؟

يرى مهاويرا" أن الكارما تظل مغروسة داخل الروح أحيانًا لبضع لحظات، وأحيانًا تستمر دهرًا منتظرة حتى يأتي وقت نضجها، وعندئذ تنفصل طواعية عن الروح بعد إفراز ثمرتها تبعا لشدة الإرادة وطبيعة الأفعال التي أحدثت تدفقها، غير أن هذه الكارما سوف تمتصها مرة أخرى سلسلة جديدة من الانفعالات لأفعال، وهكذا تستمر عجلة التناسخ في دورانها على نحو متواصل ودائب[٢]، وهكذا يذهب الروح ويعود إلى الحياة الدنيا عبر الكارما بلا نهائية؛ لأن العالم أزلي؛ ومن ثم فإنه لا يفني والتناسخ والكارما عمليات تفاعلية تتم داخل هذا العالم دون انقطاع! ومما يدعم هذا الطرح ويؤكده أن الجينية ترى" أن هذا الكون يمر بست مراحل من الانحلال. الأولى: كان البشر بدون عناية فحاجتهم مقضية بدون عناء بواسطة أشجار الأماني التي نمت في العالم كله. الثانية: بدأت هذه النعمة في التحلل والنقص. الثالثة تظهر الخطيئة والألم وتبدأ أشجار الأماني في الذبول. الرابعة: زاد الانحلال وظهر المعلمون الثلاثة والعشرون السابقون على مهافيرا. الخامسة: تبدأ المرحلة الكونية الخامسة بعد موت مهافيرا مباشرة وهي المرحلة المستمرة حتى الآن، وستستمر لمدة واحد وعشرين ألف سنة وسيزداد البشر فسادًا وانحلالًا. السادسة والأخيرة سيعيش فيها الإنسان كالحيوانات المتوحشة ثم تتكرر هذه المراحل في ترتيب عكسي[٣]. وأنت ترى أن هذا رجم بالغيب وإيغال في التيه. فمن أين لهم بهذه

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدي الشعوب (ص٢٢٩) بتصرف كبير

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة

(٣) تاريخ الأديان (ص١٠٣) بتصرف يسير مرجع سابق

التخرصات التي ليس معهم ما يؤيدهم فيها أثارة من علم؟

النجاة (المكتى) عند الجينية

هي الموئل الأخير الذي يؤول إليه أمر الروح عند الجينية، وهى تعادل الانطلاق عند الهندوسية، والنيرفانا عند البوذية فماذا تعنى النجاة عن مهاويرا ؟

"النجاة هى غاية الكون، وهى التطهر من أوساخ العواطف والشهوات الحيوانية، والتخلص من قيود الحياة، ومن تكرار المولد والموت، وهى طور من أطوار الوجود يختلف عن أطوار الحياة الفانية، وهى الفوز بالسرور الخالد الذي لا يشوبه ألم ولا حزن ولا هم ولا مطمع ، والشخص الناجي ليس بذي جسم مادي وليس بطويل ولا قصير يحيط بكل شيء، مكانه فوق الخلاء، وليس للنجاة نهاية فهى أبدية سرمدية، ولا توصف النجاة بوصف نعلمه ولا حال نعقله[١]؛ إذا النجاة شيء ليس لها وصف ولا يتعقلها الذهن ومن ثم فهي والعدم سواء، هذه هي الغاية التي يسلك الجيني للوصول إليها أشقَّ الطرق وأوعرَها، إنه يحرم نفسه الحياة ليصل إلى مجهول ليس له وصف ولا يتصوره العقل قال- تعالى-: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ٣٦]، وعلى أية حال فإن الخلاص الجيني كما هو الحال عند بوذا على نوعين:

النوع الأول: خلاص العوام: وهم عامة الناس من المؤمنين بالجينية أي: "الذين يؤيدون النظام من غير الرهبان"[٢]، ويساعدونهم ماديا ويباشرون حياة العمل مع تخلقهم ما استطاعوا بأخلاق الفكر الجيني"[٣]، وهؤلاء لهم طريقة في الخلاص تشتمل على التالي:

(١) أديان الهند الكبرى (ص ١١٤) بتصرف كبير مرجع سابق
(٢) المرجع السابق (ص١١٢)
(٣) المرجع السابق (ص١٢٣)

أولًا: الإيمان باليواقيت الثلاثة

الياقوتة الأولى: "الاعتقاد الصحيح: وهو رأس (النجاة) ويقصدون به الاعتقاد بالقادة الجنيين الأربعة والعشرين، فإن ذلك هو المنهج المعبَّد والصراط السويّ، ولا يكون الاعتقاد الصحيح إلا إذا تخلصت النفس من أدران الذنوب اللاصقة بها، والتي تحول دون وصول الروح إلى هذا الاعتقاد"(١)؛ لأن الدنيا هي جماع الروح والمادة فهي قديمة قدم الروح والمادة، وليس لها خالق مدبر حكيم؛ لأنها لم تكن معدومة فأوجدها موجِد، بل كانت موجودة من الأزل بشكل آخر، فتشكلت بهذا الشكل لأجل العلاقة الجديدة!، والعلاقة بين الروح والمادة هي نتيجة الكارما؛ لأن الكارما تعيد الروح إلى الدنيا مرة بعد مرة، لكن بمرور الوقت اعترفت الجينية بآلهة الهندوس ولم يقدسوها، ثم اعتقدوا بالقادة الأربعة والعشرين جينا كآلهة، وذلك في اعتقادهم هو المنهج الصحيح والصراط المستقيم(٢). واعتقاد الجنينية في آلهة الهندوس دون تقديسها كان لغرض سياسي ،فقد كان اعترافها بآلهة الهندوس ثمنا للبقاء داخل الهند، حتى لا تلقي نفس مصير البوذية من أن تُنفى إلى خارج النهد.

الياقوتة الثانية: "العلم الصحيح: ويقصد به معرفة الكون من ناحيته المادية والروحية، والتفريق بين هذه وتلك، وتختلف درجة المعرفة باختلاف قوة البصيرة وصفاء الروح، ويستطيع الشخص الذي يفصل أثر المادة عن قوته الروحية أن يرى الكون في صورته الحقيقة وأن تنكشف له الحقائق ولا تشتبه عليه الأمور"(٣).

والعلم الصحيح يصل إليه الجيني عن طريق درجات خمس هي:

---

(١) أديان الهند الكبرى (ص١١٨-١١٩)

(٢) المنهجية في دراسة الأديان الوضعية د/ عبدالله على سمك (ص٣٨٠-٣٨١) دار طيبة الخضراء مكة المكرمة ط١١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٣) أديان الهند الكبرى (ص١١٩) بتصرف مرجع سابق

١ – " الإدراك بطريق الحواس أو بطريق الزهد

٢ – العلم عن طريق الوثائق المقدسة الجينية

٣ – العلم بالوجدان المحدود عن طريق الروح لما له صورة

٤ – العلم بالوجدان المحيط عن طريق الروح لما ليس له صورة فهو إدراك يتخطى الزمان والمكان

٥ – العلم بمخبآت الضمائر والتصورات في السرائر"[١]، ولا يصل الإنسان إلى هذه الدرجة إلا بعد الرياضات الشاقة، وقد كان مهاويرا مزودًا بثلاث منها أصلًا ، وقد حصل الآخرَين حتى صار مرشدًا وداعيًا لمذهبه[٢].، وبهذا المنهج المتدرج يصل الجيني إلى الحقيقة ولكنها بالنسبة للعوام حقيقة نسبية وليست مطلقة[٣].

الياقوتة الثالثة: "الخلق الصحيح: ويقصد به التخلق بالأخلاق الجينية من التحلي بالحسنات والتخلي عن السيئات"[٤]، وهذا يعنى أن الجيني لا بد أن يتخلى عن الرذائل (السيئات) ويتحلى بالفضائل (الحسنات)، والرذائل (السيئات) عند الجينية تعنى: "ارتكاب الأعمال الخبيثة، والفواحش، وقسموها إلى ثمانية عشر نوعًا، منها الكذب، والسرقة، والفسق، والفجور، والخيانة، والجشع وما إلى لك، وأشد أنواع الجنايات وأفظعها لدي الجنيين، هو الاعتداء على الحياة، والعنف والتشدد، ووضعوا كفارات خاصة لكل نوع من السيئات، منها الفقر والتناسخ في أشخاص تعساء، أو في قوالب الحيوانات والجمادات"[٥]. بينما الفضائل (الحسنات) عند الجينية تعنى: "فعل الخيرات كإطعام المساكين، ومساعدة المحتاجين، وبخاصة فيما يتصل بالرهبان الجينيين، وقسم

(١) المنهجية في دراسة الأديان الوضعية(ص٣٨١) مرجع سابق

(٢) موسوعة أديان العالم (ص١٢٨-١٢٩) مرجع سابق

(٣) ينظر: المنهجية في دراسة الأديان الوضعية (ص٣٨١) مرجع سابق

(٤) أديان الهند الكبرى (ص١١٩) مرجع سابق

(٥) المرجع السابق (ص١١٣)

الجينيون الحسنات تسعة أقسام، وذكروا أن الحسنات تُجزى باثنين وأربعين طريقا، منها ما هو في حياة الإنسان كالبركة والغنى والصحة، ومنها في حياة قادمة"[١]. وبالنظر إلى رؤية الجنية في الحسنة، والسيئة يتضح أن الحسن والقبح عندهم عقليان وليسا شرعيين، إذ بأي شرع تكون الحسنة حسنة والسيئة سيئة، وهم لا يؤمنون بوجود إله أصلًا؛ ولذا فما حسّنه العقل فهو الحسن، وما قبّحه العقل فهو القبيح، أو بالأحرى ما حسنه مهاويرا والجيناوات هو الحسن، وما قبحوه فهو القبيح!

ثانيًا: طهارة الروح: لقد وضع الجنيون لطهارة الروح مبادئ سبعة، بها يتطهر الروح وتصل إلى النجاة وهذه المبادئ كالتالي:

١ – " أخذ العهود والمواثيق، وهو ذو أثر بالغ في اقتلاع الأخلاق السيئة، والتمسك بالزهد والتقي.

٢ – المحافظة على الورع وتجنب الأذى والضرر لأي كائن مهما كان حقيرًا ضئيلًا

٣ – التقليل من الحركات البدنية، وفي الكلام والتفكير في الأمور الدينية والجسمانية خوفًا من ضياع الأوقات في الأمور التافهة.

٤ – التحلي بعشر خصال هي أمهات الفضائل وهى العفو، والصدق، والاستقامة، والتواضع، والنظافة، وضبط النفس، والتقشف الظاهري والباطني ، والتزهد ، والإيثار ، واعتزال النساء.

٥ – التفكير في الحقائق الأساسية عن الكون والنفس.

٦ – السيطرة على متاعب الحياة وهمومها، وعدم الاهتمام بها.

٧ – القناعة الكاملة، والطمأنينة، والخلق الحسن، والطهارة الظاهرية، والباطنية، وكل هذه المبادئ قررها مهافيرا قبل أن يموت[٢]؛ إذا التزم عوام الجينية بهذه المبادئ قد

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) قصة الديانات (ص١٤٦-١٤٧) بتصرف مرجع سابق

يصلون به إلى شيء من الحقيقة وتحرر الروح من دورات التناسخ التي لا تنتهى، وتنجو من أسر الكارما الذي يحيط بالروح إحاطة السوار بالمعصم "فالكارما كجوهر مادي خفي يتدخل ويعوق عملية التحرر ويمكن أن يذاب فقط عبر الزهد[١].

ومهما يكن من شيء فإن عوام الجينية لا يلزمهم أن يقوموا بكل هذه المناسك والسبل، ولكن عليهم أن يقوموا ببعضها في حدود طاقتهم، فعليهم ألا يوقعوا الأذى بإنسان أو حيوان، وعليهم ألا يقتلوا النفس، وألا يأكلوا اللحم، وأن يقهروا رغباتهم، ولكن لا إلى درجة الجمود والخمود والذهول التي يتبعها الرهبان[٢] وهذا أمر طبعي؛ لأنه إذا وصل الجنيون أجمعون إلى حالة الجمود والخمود والذهول، فمن الذي يمد الرهبان الجنيين بأسباب البقاء؟ ومن الذي سيحافظ على بقاء هذه النحلة إذا امتنع الجنيون كلهم أجمعون عن الزواج؟ ستفنى هذه النحلة وستصبح جزءًا من التاريخ، ولكن عجبي لا ينتهى من أمر هذه النحلة لما لا ينخرط الجنييون كلهم أجمعون في سلك الرهبنة حتى يصلوا إلى الانتحار جوعًا، وقانون التناسخ عبر الكارما سيعيدهم إلى الحياة مرة أخرى، ويضمن لهم استمرار المؤمنين بهذه النحلة فهذا في وجهة نظري أقوى دليل على بطلان هذه النحلة، فهم لا يثقون بجدوي عقائدهم التي يؤمنون بها.

النوع الثاني: خلاص الخواص

إن الخاصة هم الرهبان الجينيون، ولهم مراسم تنصيب لدخولهم في سلك الرهبنة؛ حيث يتخلى الراهب عن كل شيء تماما بما في ذلك أسرته وملكيته الخاصة وحقوقه المدنية، وعما يستر عورته، ويؤخذ في موكب مهيب حتى يتم ترسيمه راهبا بواسطة رئيس النظام المحلى أو كبير الرهبان، ويقوم الطامح بنزع خمس خصلات من شعره كرمز

(١) معجم الأديان العالمية (٣٤٩/١) مرجع سابق

(٢) أديان الهند الكبرى (ص١١٧) مرجع سابق

لعدم اكتراثه بالألم البدني ثم يتلقى اسمًا جديدًا[١]. هؤلاء الرهبان الجنيون يرون في مهافيرا وسلوكه الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة ومن ثم فيجب عليهم الالتزام بما يلى:

١ – تحريم قتل كل حي (أهمسا) وبالتالي يحرم أكل اللحوم وعدم ممارسة الزراعة؛ لأنها تمزق التربة، وتسحق الحشرات والديدان، وتحريم أكل العسل لأنه حياة النحل، وينبغي على الشخص تصفية الماء قبل شربه؛ خشية أن يقتل ما عساه أن يكون كامنا فيه من كائنات، ويغطى فمه حتي لا يستنشق مع الهواء أحياء عالقة فيقتلها! ويحيط مصباحه بستار حتى يقي الحشرات لذع النار[٢].

٢ – قهر جميع المشاعر والعواطف والحاجات، وأن يصل إلى حالة من الجمود والذهول فلا يشعر بما حوله، وعليه أن يبتعد عن المرأة والتطيب، والتزين[٣] وأهمسا. وقهر للمشاعر يسميه الجنيون النذور الخمسة المحددة وهي اللاعنف، الصدق، الامتناع عن السرقة (العفة) التقليل من طيبات الحياة الدنيا[٤]، فالمثل الأعلى للجيني "ألا يأبه للذة أو ألم"[٥].

٣ – " العُري؛ لأن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، فعلى كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الأثم أن يعيش عاريًا، وأن يتخذ من السماء لباسًا له"[٦].

٤ – " الانتحار، وذلك بتجويع النفس حتى الموت لقطع الروابط بالحياة، ولا يكون ذلك إلا بعد قضاء اثنى عشر أو ثلاثة عشر عامًا داخل نظام الرهبنة" [٧] والانتحار

---

(١) المعتقدات الدينية لدي الشعوب (ص٢٣٣) بتصرف كبير مرجع سابق
(٢) المنهجية في دراسة الأديان الوضعية (ص٣٨٣) مرجع سابق
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة
(٤) المعتقدات الدينية لدي الشعوب (ص٢٣٢) مرجع سابق
(٥) قصة الديانات (ص١٤٤) مرجع سابق
(٦) المنهجية في دراسة الأديان الوضعية (ص٣٨٣) مرجع سابق
(٧) المرجع السابق نفس الصفحة

أمر سائغ عند الجينية " وخاصة إذا تم عن طريق الجوع، فإن في ذلك أبلغ انتصار تظفر به الروح على إرادة الحياة العمياء...، فالموت جوعا منزلة سامية تدل على أن الجيني وصل إلى أسمى درجات الزهد والتقشف، وتؤدي إلى تحرير روحه تحريرًا تامًا، وإنقاذه من هذه الحياة، وعدم اضطراره إلى أن يحيا فيها في المستقبل مرة أخرى"[١].

إن جوهر الجينية هو الحفاظ على حياة المخلوقات جميعها إلا أنهم يبيحون للجيني أن يزهق روحه عبر الجوع؛ وذلك لأن مهاويرا قد مرَّ بأزمة نفسية قاسية، وهى انتحار أبويه المتعمَّد عبر الجوع، فكره بسبب ذلك الحياة والأحياء، وجعل من هذه العلة النفسية، وهذا الداء العضال الذي ألمّ به دينا يؤمن به الملايين، وجعل من الانتحار غاية سامية يجب أن يسعى إليها من يريد الوصول إلى النجاة! "إنه دين انبعث من مريض مضطرب النفس ...، فلا إله ولا دنيا ، ولا حياة إنها إلحاد وسلبية مسرفة ومناقضات عجيبة، إغراق في الحس، وتنكر له في آن واحد[٢].

وهكذا تفعل الأساطير والخرافات فعلها في النفس فتقضي على البقية الباقية من العقل، ويصير الناس أسرى أوهام لن تغنى عنهم من الله شيئا، وهكذا فإن ضلال الديانات الوضعية الهندية قد أتى من ضلالهم في تفسيرهم للروح؛ لأنهم لم يستندوا إلى وحى معصوم يحول بينهم وبين الزيغ والانحراف يقول ابن تيمية: الروح "التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها مع أنا نقطع بأن الروح في البدن وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء؛ وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم؛ حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات

(١) قصة الديانات (ص١٤٧) مرجع سابق

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور(ص١١١-١١٢) مرجع سابق

ثابتة لها بحسبها، ولا نقول إنها مجرد جزء من أجزاء البدن كالدم والبخار مثلًا؛ أو صفة من صفات البدن والحياة وأنها مختلفة الأجساد ومساوية لسائر الأجساد في الحد والحقيقة كما يقول طوائف من أهل الكلام بل نتيقن أن الروح عين موجودة غير البدن؛ وأنها ليست مماثلة له وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازًا[١].

إذا الروح جوهر وفي عبارة بعض المحقيقين " أنه أي الروح: جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر وبهذا جزم النووي[٢]، ويكون الروح طيبًا نسبة إلى جسده الطيب، ويكون الروح خبيثًا نسبة إلى جسده الخبيث، والروح خالد لا يفنى أبدًا يقول ابن القيم: "والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها؛ فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب"[٣].

ويوضح ابن القيم تعلقات الروح بالبدن فيقول: "إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام (أحدها): تعلقها به في بطن الأم جنينًا، (الثاني): تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض (الثالث): تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه (الرابع): تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًا بحيث لا يبقى لها التفات إليه ألبتة فقد ما يدل على ردها إليه–أي الروح– وقت سلام المسلم وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة (الخامس): تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا"[٤]، والروح في

---

(١) مجموع الفتاوى تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (١١٦/٥) دار الوفاء ط٣ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

(٢) فتح القريب المجيد بشرح جوهرة التوحيد الإمام عبد البر الأجهوري الشافعي (ص٨٧).

(٣) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ص٣٤)، دار الكتب العلمية – بيروت

(٤) المرجع السابق (ص ٤٤)

الإسلام لا يتناسخ أبدًا، وإنما التناسخ الباطل ما تقوله أعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد أن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان، والحشرات، والطيور التي تناسبها وتشاكلها فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها، أو تعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان أخرى، تناسب أعمالها وأخلاقها وهكذا أبدًا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها، لا معاد لها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفقت عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم وهو كفر بالله واليوم الآخر وهذه الطائفة يقولون إن مستقر الأرواح بعد المفارقة أبدان الحيوانات التي تناسبها وهو أبطل قول وأخبثه[1] وقد يتعلق القائلون بالتناسخ بما ثبت في السنة. فعن "ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– : « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِى إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا : مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِى الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ. قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ... إِلَى آخِرِ الآيَةِ[2].

يقول ابن القيم في معنى هذا الحديث: "هذا من تمام إكرام الله للشهداء أن أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها لله أبدانًا خيرًا منها تكون مركبًا لأرواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم؛ فإذا كان يوم القيامة رد أرواحهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا[3]؛ إذا الأجساد مراكب لأرواح الشهداء، وليست حالة فيها، فالمراد من كون أرواحهم في أجواف طيور، أنها تركب تلك الطيور، أو أن تكون أجوافها كالهوادج الشفافة الواسعة، أو المراد أنها كالطيور في سرعة قطع المسافات البعيدة؛ لأن أرواحهم لها

(١) المرجع السابق (ص١١٤)

(٢) رواه أبوداود في سننه كتاب الجهاد باب فضل الشهادة (٣٢٢/٢) رقم (٢٥٢٢)

(٣) الروح (ص ١١٣) مرجع سابق

أجنحة لأن خلقة الآدمي أشرف من غيرها"[١].

وأنت ترى أن الإسلام ينكر التناسخ بكل الوجوه، وأن التناسخ عقيدة باطلة منبعثة من القول بقدم العالم، إن الديانات الوضعية بالهند اضطربت في معرفة حقيقة الروح، واضطربت في معرفة كيفية خلاصها؛ لأنهم يبحثون شيئًا لا سبيل إلى الوصول إلى معرفة كنهه، فهو أمر استأثر الله بعلمه فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١) فتح القريب المجيد (ص ١٦٥) مرجع سابق

الخاتمة

إن أديان الهند الكبرى أديان ضاربة في القدم، ومع ذلك فإن لها طرحًا في أمر الخلاص، وهذا يدل دلالة واضحة على أن سؤال المصير شُغلت به كل أمة، وحاولت أن تجيب عليه، فالهندوس الذين رأوا كل أجزاء الكون رموزا تعبر عن حقيقة عليا مما جعل الآلهة تتعدد تعددا لا حصر له، يرون أن الخلاص على نوعين: (الأول): الخلاص الدنيوي، وهذا يتم في الدنيا بالتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، ويحصل أيضًا برياضة اليوجا بمسالكها الأربعة؛ حتى يصل إلى الانطلاق ويتحد مع براهما، (والثاني): الخلاص الأخروي وهذا يتم عن طريق التناسخ عبر الكارما فالأرواح الخيرة تتناسخ في أجساد شريفة حتى تصل إلى الاتحاد مع براهمن، والأرواح الشريرة تتناسخ في أجساد خسيسة في دورات غير متناهية من التناسخ؛ حتى يتدخل الإله فشنو أحد أقانيم الثالوث الهندي فيخلص الروح من أسر هذا التناسخ اللانهائي، أما البوذيون فهم في برزخ بين الإنكار والأدرية فيما يتعلق بالألوهية، وأنكروا الروح ومع ذلك فلهم طريقان في الخلاص الأول: خلاص العوام ويتم عبر الحقائق الأربعة بشعبها الثمانية؛ حتى يصل البوذي إلى النيرفانا التي هي حالة عدمية، ووهم من الأوهام، الثاني: خلاص الخواص ويكون عبر قانون النشأة المستندة التي يتم فيها تناسخ الأعضاء عبر قانون الكارما في أجساد جديدة، والوسيلة في ذلك الرهبنة القاسية التي يمتنع فيها الراهب البوذي عن كل المتع في الحياة الدنيا حتى يصل إلى النيرفانا، وبهذا يكون بوذا قد استبدل بتناسخ الأرواح تناسخ الأعضاء. أما الجينيون فقد أنكروا الألوهية، وقالوا بأزلية العالم ومع هذا فلهم طريقان في الخلاص أيضًا الأول: خلاص العوام ويكون عبر الإيمان باليواقيت الثلاثة والالتزام بالمبادئ السبعة لطهارة الروح؛ حتى يصلوا إلى النجاة إن وصلوا إليها، الثاني: خلاص الخواص ويكون عبر تعظيم كل ما هو حي وعدم قتله، وقهر العواطف النفسية، والحاجات الفسيولوجية حتى يصل الراهب الجيني إلى رتبة الخمول، والخمود، والذهول، ثم الالتزام بالعرى حتى يصل الراهب إلى الانتحار طوعا ليصل إلى الخلاص ويحقق النجاة.

وبمقارنة بسيطة بين الديانات الهندية الوضعية الثلاث نجد أن الهندوسية قالت بوجود إله خالق مظاهر كونه المتعددة هي على كثرتها صور له بينما البوذية كانت متأرجة بين الإلحاد والأدرية ، والجنية أنكرت وجود إله إنكارا واضحا لا لبس فيه ولا غموض.

اتفقت الديانات الثلاث على أن الشقاء الإنساني منحصر في المادة ، ولا بد من التخلص من المادة حتى يحصّل الإنسان الانطلاق الهندوسي، أو النيرفانا البوذي، أو النجاة الجيني.

الروح عند الهندوس خالدة وغير مائتة لأن براهمن هو الروح الأعظم ، بينما أنكر بوذا وجود الروح ، وفسّر مهاويرا الروح تفسيرا ماديا يجعلها والجسد شيئا واحدا

الكارما (قانون الجزاء)عند الهندوس والبوذيين أمر اعتباري ، بينما الكارما عند الجينيين لها وجود حقيقي فهي تحيط بالروح إحاطة الشرنقة بالفراشة، أو السوار بالمعصم

التناسخ أو تجوال الروح متفق عليه عند الديانات الثلاث ولكنه عند الهندوس التجوال اللانائهي للروح في أجسام شريفة لمن عمل صالحا حتى يتوحد مع براهمن، والتجوال اللانهائي للروح في أجسام خسيسة حتى يتدخل الإله فشنو فيكسر هذه الدورات اللانهائية ويتحد الروح مع براهمن ، بينما التناسخ البوذي هو تناسخ للأعضاء لأن بوذا لا يؤمن بوجود الروح ، ومن ثم فإن الأعضاء هي التي تتناسخ حسب عملها إن في أجساد شريفة، وإن في أجساد خسيسة ، أما مهاويرا فيذهب إلى تناسخ الأرواح حسب تفسيره المادي لحقيقة الروح

اتفقت الديانات الثلاث على الزهد في الحياة ، والرهبنة القاسية سبيلا للخلاص ، ولكن الزهد والرهبنة يتدرجان فيبدأ بالهندوسية ، ويتوسط بالبوذية ، وينتهي بالجينية التي لا يتحقق النجاة عندها إلا بالانتحار الطوعي.

ومهما يكن من شيء فإن ديانات الهند الوضعية قد حاولت أن تخلص الروح من شقائها الدنيوي، وأسرها بالتناسخ في الآخرة فلم تفلح؛ لأنهم لا يعرفون حقيقة الروح

ولذا فإنهم يضربون ضرب عمياء ويخبطون خبط عشواء، والحق المبين ما دل عليه القرآن والسنة في هذه القضية قضية الروح؛ لأن الروح خلق من خلق الله، والله أعلم بما خلق قال- تعالى-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وقد أفضت هذه الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات

أما النتائج فهي كما يلى:

١ – للقرآن الكريم منهجه الواضح في دراسة الأديان الذي يجب على الباحثين في هذا المجال أن ينتبهوا إليه، وأن يعملوا على إبرازه.

٢ – القول الفصل في الحقائق الغيبية للوحى المعصوم.

٣ – أن رؤية أديان الهند للخلاص قائمة على مناهضة الحياة.

أما التوصيات فتوصى الدراسة بما يلى:

١ – دارسة الخلاص في أديان الصين واليابان وفارس

٢ – دراسة قضية الألوهية في أديان الصين واليابان وفارس

٣ – التأثير الوثني على عقائد أهل الكتاب

٤ – يجب على دعاة الإسلام وجوبا عينيا أن يبينوا للناس صحيح العقائد من سقيمها، وأصيلها من دخيلها، وحقها من باطلها، وأن هذه أمانة يجب عليهم أن يضطلعوا بها، فهذه مسؤولية عظيمة سيسألون عنها أمام الله سبحانه وتعالى.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

تم بفضل الله إنجاز هذا البحث

في يوم الخميس ٢٣ من جمادى الأولى ١٤٤٥هـ الموافق ٢٠٢٣/١٢/٧م

والحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- المصادر والمراجع العامة
- أديان العالم د/ هوستن سميث تعريب سعد رستم دار الجسور الثقافية ط ٣ / ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية ط ١١ / ٢٠٠٠م.
- الإسلام والبوذية هارون يحيى دار القبس ط ١/ ١٤٤٢هـ - ٢٠١١م.
- أصول العقائد محاولة لإيجاد معيار يتميز به الدين الإلهى عن الوضعي د/ نوح الغزالي ط ١٩٩٧
- أطلس تاريخ الإسلام د/حسين مؤنس الزهراء للإعلام العربى ط: ٢/ ١٤٠٧هـ - ٢٠٠٧م
- آلهة في الأسواق د/ رءوف شلبي دار القلم ط: ٢ / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- إنجيل بودا دراسة د/منذر الحايك دار صفحات ط١/٢٠٢٠م
- إنجيل بودا د/ منذر الحايك دار صفحات ط١/٢٠٢٠م
- انظر الأديان القديمة د/ حسن الهواري وما بعدها ط٢/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د/أحمد على عجيبة دار الآفاق العربية ط ١/ ٢٠٠٦م
- البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها د/ عبدالله مصطفي نومسوك أضواء السلف ط١/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- تاريخ الأديان د/ محمد خليفة حسن دار الثقافة العربية ٢٠٠٢م
- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ميرسيا إليادترجمة عبدالهادي عباس دار دمشق ط١/ ١٩٨٦م.

- التحرير والتنويرالشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧.م
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة أبوالريحان البيروني تقديم د/محمود على مكي الهيئة العامة لقصور الثقافة إصدار ٢٠٠٣م
- توراة براهما شريعة الهندوس د/ منذر الحايك دار صفحات ط١/ ٢٠٢٠م.
- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي مكتبة الرشد، ط: ٢/ ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م
- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د/ محمد عبدالله دراز دار القلم ط٥ / ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م
- رسالة التوحيد الإمام محمد عبده بن حسن خير الله دار الكتاب العربي
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار الكتب العلمية – بيروت
- شرح الصاوي على جوهرة التوحيد الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي تحقيق د/ عبدالفتاح البزم دار ابن كثير ط١٠/١٤٣٥هـ ٢٠١٤م
- الشوقيات أحمد شوقي مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط١ بدون تاريخ
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري مادة خلص تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت ط٤/ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- عبقرية المسيح عباس محمود العقاد ط١٩٥٣م
- فتح القريب المجيد بشرح جوهرة التوحيد الإمام عبد البر الأجهوري الشافعي
- الفصل في الملل والأهواء والنحل الإمام ابن حزم الأندلسي دارالكتب العلمية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م
- الفلسفة الهندية القديمة الأستاذ عبد السلام خان مكتبة رضا رامفور ١٤١٧هـ –

١٩٩٦م

- فيدا نصوص هندوسية مقدسة د/ منذر الحايك صفحات للدراسات والنشر ٢٠١٨م
- قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين حرف الخاء (٣٤٤-٣٤٥)
- قصة الأديان د/ رفقي زاهر مركز الحكمة للطباعة والنشر
- قصة الجنس عبر التاريخ رى تانا هيل دار ميريت ط٢/٢٠١٤م
- قصة الحضارة وِل ديورَانت ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين دار الجيل، بيروت- لبنان١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- قصة الديانات سليمان مظهر المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠م
- لسان العرب ابن منظور الناشر: دار صادر – بيروت ط٣ - ١٤١٤هـ
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين العلامة أبوالحسن الندوي مكتبة الإيمان بالمنصورة
- مجموع الفتاوى تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية دار الوفاء ط٣ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
- مدخل لدراسة الأديان د/ عبدالله على سمك دار الرداسات العلمية للنشر والتوزيع ٢٠١٣م
- معتقدات أسيوية د/ كامل سعفان دار الندي ط١/١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
- المعتقدات الدينية لدي الشعوب د/ جفري بارندر ترجمة د/ إمام عبدالفتاح إمام مكتبة مدبولي ط٢/١٩٩٦م
- معجم الأديان العالمية د/ محمد عثمان الخشت مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة ط٢٠١٦م
- معجم ديانات وأساطير العالم د/ إمام عبدالفتاح إمام مكتبة مدبولي بدون تاريخ
- مقارنات الأديان الإمام محمد أبوزهرة دار الفكر العربي

- مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام د/ عوض الله حجازي دار الطباعة المحمدية ط٣ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
- الملل والنحل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني مؤسسة الحلبي
- المنهجية في دراسة الأديان الوضعية د/ عبدالله على سمك دار طيبة الخضراء مكة المكرمة ط١١٤٣٦هـ٢٠١٥م
- موسوعة أديان العالم توماس جيتس جيفرسون المصرية للنشر والتوزيع
- موسوعة الأديان الحية ر.س.زينر ترجمة د/ عبدالرحمن الشيخ الهيئة العامة المصرية للكتاب ٢٠١٠م
- الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان مذاهب وديانات قديمة د/ سليم إلياس مركز الشرق الأوسط الثقافي
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط٤/ ١٤٢٠ هـ
- نزعة الزهد بين البوذية والتصوف الإسلامي د/ لقمان لو–الوافي الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٨م
- الهند القديمة حضارتها وديانتها د/ محمد إسماعيل الندوي دار الشعب ١٩٧٠م
- الهند تاريخها تقاليدها جغرافيتها محمد مرسي أبو الليل مؤسسة سجل العرب ١٩٦٥م

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ٤٥٩
التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث..... ٤٦١
أولًا: الخلاص في اللغة..... ٤٦١
ثانيًا: الخلاص اصطلاحًا..... ٤٦١
ثالثًا: مفهوم الديانات الوضعية..... ٤٦٤
رابعًا: المنهج العلمي في تحديد الأديان الوضعية..... ٤٦٥
خامسًا: : نبذة تاريخية وجغرافية عن بلاد الهند..... ٤٦٧
المبحث الأول: الخلاص في الديانة الهندوسية..... ٤٦٩
الخلاص الهندوسي..... ٤٧٢
النوع الأول: الخلاص الدنيوي..... ٤٧٢
حقيقة اليوجا..... ٤٧٦
النوع الثاني: الخلاص الأخروي..... ٤٨٥
المبحث الثاني: الخلاص في الديانة البوذية..... ٤٩٣
الخلاص البوذي..... ٤٩٧
الأولى: طريقة العوام في الوصول إلى الخلاص (الخلاص الجماعي)..... ٤٩٧
الثانية: طريقة الخواص ورجال الدين في الوصول إلى (الخلاص الفردي)..... ٥٠٥
المبحث الثالث: الخلاص في الديانة الجينية..... ٥١٢
الخلاص الجيني..... ٥١٥
تناسخ الأرواح والكارما..... ٥١٦
النجاة (المكتى) عند الجينية..... ٥١٨
النوع الثاني: خلاص الخواص..... ٥٢٢
الخاتمة..... ٥٢٨
فهرس المراجع..... ٥٣١
فهرس الموضوعات..... ٥٣٥